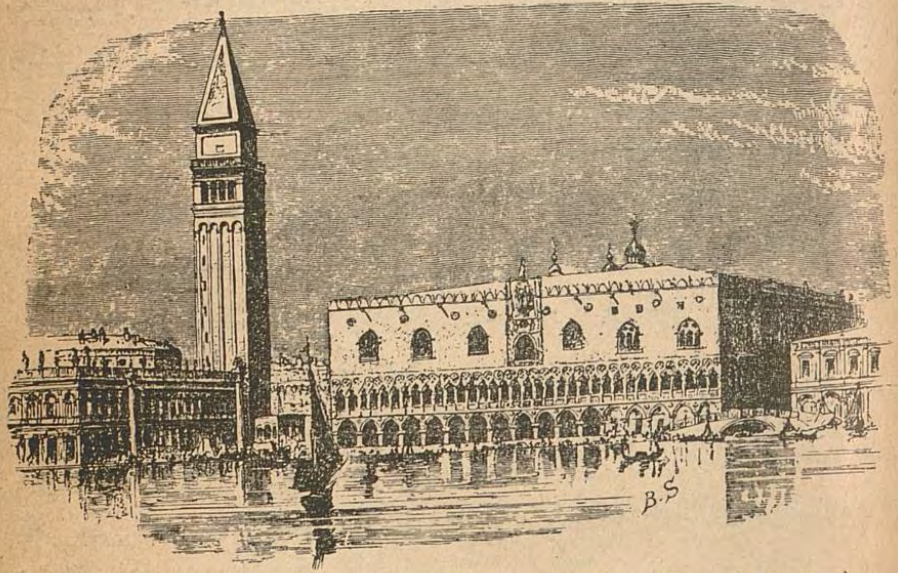


المقطف

الجزء التاسع من المجلد السابع والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢ - الموافق ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٢٠

الكمبانيل برج البندقية



لم يخطر لنا لما وقفنا امام هذا البرج نعمن النظر في علوه الشاهق وبنائه المحكم ان سوس الدهر
قد خُزِ اصوله وانه قد رُله ان لا يتم عشر سنوات . ولا دار في خلدنا حينئذٍ ونحن نتأمل
في وضع الملاك الواقف فوق رأسه انه سينخط عنه ويصير الى حصى الكنيسة القائمة في جانبه .
وقد غفلنا عن نوايب الدهر حينئذٍ فتمثلنا بقول السموال حيث قال
رسا اصله تحت الثرى وسما به الى النجم فرع لا يُنال طويل^(١)

(١) انظر الكلام على البندقية في مشاهد اوربا في المجلد السابع عشر من المقطف

لكن الانسان وهو سيد المخلوقات في هذه الدنيا لا يعمر مئة عام فأحر بما كان من صنع يديه ان يكتفي بالف من الاعوام فقد كان الشروع في بناء هذا البرج سنة ٨٨٨ او سنة ٩٠٢ للميلاد ليكون علماً للشعب الذي نزل جزائر البندقية يقيم فيه الرقباء يرقبون البر والبحر ويقرعون الاجراس اذا دنا منهم عدو مفاجئ او اذا ارادوا الاجتماع لغرض سياسي او احتفال ديني . ومرت سنون كثيرة قبلما بلغ القبة التي كانت فيها الاجراس الآن ثم جدت هذه القبة سنة ١٥١٠ واقام فوقها الهرم الذي أوقف الملاك على رأسه سنة ١٥١٧

وكان ارتفاع البرج قبل سقوطه ٣٢٣ قدماً وطول كل جانب من جوانب قاعدته ٤٢ قدماً ويصعد الى اعلاه على سطح مائل في داخله فيشرف الواقف في اعلاه على اجمل مناظر الارض بحر البنادقة وخليجانه من الجنوب الشرقي وجبال الالب من الشمال وارباض البندقية من الغرب ويرى تحته ام القصور والترع تجلي بما ابتعثه فيها القرون الوسطى من بدائع البناء والنقش وما جرى اليها من خزائن المشرق والمغرب يوم كان البنادقة قابضين على زمام التجارة وكانت اساطيلهم تناوى اعظم دول الارض

ويقال ان احد المهندسين رأى فيه منذ عشر سنوات ما حسبه دليلاً على دنو اجله فانبا رجال الحل والعقد بذلك فلم يكثرثوا لكلامه فزاد في حشهم وانذارهم حتى اضطروا الى نفيه لكي لا يسمعوا ثقيعه ولما عاد من المنفى عاد الى الانذار فامرت الحكومة الايطالية بعض العمال بترميم البرج فاكتفوا بوضع " المؤونة " بين الاجر ممّا يلي القصر الملكي وباليتمهم لم يفعلوا ذلك لان ما فعلوه اضر ولم يفد كما سيجي

وفي الثالث عشر من شهر يوليو الماضي ظهر فيه شق كبير فقال ذلك المهندس ان ساعة هبوطه قد دنت لا تتأخر يوماً كاملاً . وبعث حاكم البندقية الى وزير المعارف يخبره بذلك فامر بعض المهندسين ان يذهبوا حالاً اليها ويعملوا ما يلزم عمله لحفظ البرج من السقوط ولكن نفذ السهم قبل ان يفعلوا شيئاً

وكتب مكاتب التيمس من البندقية في الرابع عشر من يوليو يقول ما ترجمته " سقط الكيمانيل هذا الصباح الساعة التاسعة والدقيقة ٥٣ وصار كومة من الحجارة والاجر . اتيت الى الساحة (التي هو فيها) بعيد الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ صباحاً فرأيت فيها جمهوراً من الناس ينظرون الى الشق الذي ظهر فيه فانه كان قد اتسع في الليل الماضي ثم رأيت غباراً يصعد من هذا الشق ثم سقط عمود من اعمدة القبة التي فيها الاجراس في اعلى البرج وتبعه الملاك المذهب وبعد لحظة سقطت قبة البرج كلها وحطمت الرواق الذي عند

قاعده (وهو المعروف باسم لوجيا سنسوثينو حيث بعض التماثيل البديعة) وبعد هنيهة سقط
البرج كله دفعة واحدة كأنه شبح ادركته المنية فتنهد واسلم الروح ولم يؤذ انساناً. الا ان
الجانب المخاذي للقصر الملكي الذي ادخلت المؤونة بين اجره التصقت اجزاؤه بعضها ببعض
فسقطت قطعاً كبيرة على زاوية القصر القريبة منها وتلفت ما مساحته ستة امتار من واجهته
ولورم البرج كله كذلك لتلف بسقوطه القصر الملكي وقصر الدوقات والكنيسة اما وقد سقط
من غير ترميم فاقصرت الخسارة عليه وعلى الرواق الجميل الذي كان عند قاعدته

وكان احد الاميركيين النازلين في البندقية ينظر الى اعلى البرج من فوق سقف بيت
فرأى الملاك المذهب يهبط رويداً رويداً الى ان غاب عن بصره وللحال علت في الجو سحابة
من الغبار وهرع الناس من كل انحاء المدينة ليروا ما جرى فوجدوا انه لم يبق من البرج فخر
مدنيتهم سوى تلة من الانقاض علوها ثمانون قدماً وهي منبسطة القاعدة حتى تماس جدران
الكنيسة . ويقال ان في نية الحكومة الايطالية ان تعيد بناءه وترده الى ما كان عليه تماماً
وقدرت النفقات اللازمة لذلك بمئة وعشرين الف جنيه

وقد كانت لسقوط هذا الاثروقع اليم في النفوس فقامت صحف الاخبار تعزي البلاد
الايطالية كأنها فقدت عزيزاً كريماً . قالت جريدة التيمس ان ام الارض جمعاء تقدم فروض
التعازي الى البندقية والى المملكة الايطالية عن هذا المصاب الاليم والخطب الجسيم لان
للبنديقية صلة بكل العالم المتمدن مثل رومية وفلورنسا واثينا. والالوف الذين يقصدونها كل سنة
من انكلترا واميركا والمانيا تبقى ذكرها في نفوسهم حتى المات ذكرى مدينة حافلة باثار الماضي
وامجاده فيشعرون بالرزء الذي حل بها كأنه حل بهم

سل البشر والبقر

في اواخر يوليو من العام الماضي قام الاستاذ كوخ في مؤتمر السل المنعقد حينئذ في
لندن وخطب خطبته المشهورة التي انتقلت بالبرق وبسرعه الى كل انحاء العالم المتمدن وصارت
منذ ذلك الحين موضوع اهتمام العلماء والاطباء وبحثهم المتوالي المدقق ليس لان المسألة ذات
اهمية كبرى بحد ذاتها فقط بل ايضاً لانها تخالف معتقد كل الاطباء من حيث وحدة نوع
الباشلس التدرني (ميكروب السل) في البشر وفي البقر ومن حيث امكانية انتقاله من النوع
الواحد الى الآخر

كان علماء الطب والبكتيريولوجيا يعتقدون ان ميكروب السل في البشر وفي البقر من اصل واحد وأنه ينتقل طبعاً على سبيل العدوى من النوع الواحد الى الآخر نظراً لوحدة نوعه فيهما. ولذلك كانوا يجرون رجال الحكومة اشد التحريض على منع ادخال المواشي المسلوكة الى بلادهم وعلى تعقيم البان البقر واخذ الاحتياطات اللازمة لتحقيق صحة اللحم والزبدة واللبن وفي ٢٣ يوليو من العام الماضي قال كوخ في خطبته المذكورة آنفاً ما يخالف هذا الاعتقاد العام الذي كان هو نفسه من اقوى مؤسسيه وادعى ان سل البقر يختلف عن سل البشر وأنه لا يمكن نقله اليهم. وان عدوى البشر من البقر نادرة جداً ولذلك فلا موجب للاهتمام بمقاومتها (انظر المقتطف مجلد ٢٦ صفحة ٧١٩ الى ٧٨١)

ولا يخفى ما لهذه المسئلة من الاهمية الكبرى ليس فقط في نظر اهل العلم والطب والصحة بل في نظر اهل التجارة والزراعة والسياسة لما نعلمه من شدة احتياج الناس الى البقر الى لبنها وزبدتها ولحمها وكثرة اتجارهم بهذه الاصناف التي تعد الآن من اهم الحاجيات ومن يطالع مجلات اوروبا واميركا يعلم انه قد مضى سنة كاملة على خطاب كوخ المذكور ولا يزال صدهاء يتردد في كل اندية العلم على السنة نخبه رجال الارض باهتمام شديد لم يسبق له مثيل في عالم الطب والبكتيريولوجيا. ولكن عدد المقاومين رأي كوخ آخذ في الازدياد يوماً بعد آخر ومن المرجح انهم سيتفقون على تنفيذ كلامه بحجج دامغة وبراهين قاطعة لا تقبل الرد والاعتراض فيرجع الناس الى ما كانوا عليه قبلاً من حيث اغناؤهم بانتقال السل من البقر الى البشر ووجوب اخذ الاحتياطات الكافية لمقاومة العدوى الآتية من اكل لحومها والبانها اذا كانت مسلوكة

ومن لاحظ مجرى الامتحانات العديدة والتجارب المتوالية التي قام بها علماء اوروبا واميركا هذا العام يرى انهم لم يتركوا باباً الاً طرقوه حباً بالوصول الى الحقيقة ولو كان ذلك الباب تقطيع ذواتهم او غيرهم من البشر بياشلس التدرن البقري معرّضين بذلك حياتهم لخطر الموت في سبيل خدمة الانسانية . واني الى تاريخ هذه السطور عرفت اسماء ستة من الاميركيين بينهم ممرّضان اتقوا انفسهم بميكروب السل البقري لتحقيق هذه لمسئلة الهامة . ولعل البعض منهم فعلوا ذلك قصد الشهرة فقط وذلك ليس نادراً بين شعب كالاميركيين اكثر بينهم من يتطلب الشهرة ولو بالاستشهاد. وقد فعل بعضهم ذلك في انكلترا ايضاً. وفي هذا الشهر نقل بريد اوروبا الينا خبر تقطيع الدكتور غارمول (Garmault) نفسه بالسل البقري لهذه الغاية . ولكنني شئمت رائحة التعصب الجنسي من كلام غارمول على كوخ وقوله الجديد وهذا مما يؤخذ به

الطبيب الفرنسي المذكور لان العالم الحقيقي يجب ان يقول سرّاً وعلناً "لاعداء في العلم" وكيف كانت الحال فهذه الامتحانات الافرادية قلما تأتي بالفائدة المطلوبة عندما يراد اثبات حقيقة علمية او دحضها. بل المعول عليه في مثل هذه الحال هو سرد تاريخ مئات والوف من الحوادث الكلينيكية والامتحانات العملية (وهذا ما يعبر عنه بالاحصاءات) حتى يمكننا التوصل الى نتيجة يقف العقل عندها ويُزَع من الفكر كل شك وريب بصحتها فنثبتها كحقيقة علمية مبنية على الاستقراء والاستدلال

امتحانات الحكومة الاميركية

وهذا نفس ما فعلته حكومة اميركا في العام الماضي فان تقارير اطباء اللجان التي عينتها بعض الولايات للبحث عن هذا الامر مبنية كلها على اخبارات وامتحانات حسية تبرهن فساد قول كوخ الذي قاله في العام الماضي وتدل على صحة الرأي القديم القائل بوحدة نوع الميكروب في سل البقر والبشر او امكانية انتقاله من النوع الواحد الى الآخر. وبالنتيجة توجب اتخاذ كل الوسائل الممكنة لمنع ادخال المواشي المسلوطة الى الولايات المتحدة والمحافظة الصحية الدقيقة على الالبان واللحوم التي يقتات بها الناس من اي مصدر كانت

ومن اشتغلوا كثيراً بحل هذا المشكل الدكتور (رافنل) (M. P. Ravenel) بكتيريولوجي مجلس ولاية بنسلفانيا الصحي. والتقرير الذي رفعه الى جمعية فلاذلفيا الباثولوجية يبحث في ثلاثة امور وهي : —

اولاً . ان سل البقر ينتقل الى البشر خلافاً لما قال كوخ. واسند ذلك الى عدة تجارب واحصاءات وحوادث كينيكية. واتمماً للفائدة نذكر واحدة منها — فتحت رمة طفل مات بسبب اغشية الدماغ فوجدت الغدد المسارية كلها في حالة الارتشاح التدريجي وبعد ان استنبت الدكتور رافنل منها مستنبتات عديدة من باشلس السل لقمح بها عدداً من العجول فظهر السل فيها حالاً وبقوة شديدة اماتها في وقت قصير. فهذا يبرهن على ان ميكروب السل في البقر والبشر من اصل واحد وان نوع السل الذي مات الطفل به كان من اصل بقرى طبعاً

ثانياً . ان سل البقر ينتقل الى البشر وهو اصل العدوى في كثير من الاطفال الذين يكثر من شرب لبن البقر الذي لا يراقب مراقبة صحية دقيقة. ومع ان الدكتور رافنل لا ينكر ان بعض الاطباء يبالغون في ذلك ولكنه مع كل التساهل الممكن لا يقدر ان يسلم مع كوخ ويقول ان اصابة الاطفال بالسل المعوي ابتداءً نادرة جداً لان الاحصاءات التي في يده تدل دلالة صريحة على كثرة عدد الاطفال الذين يموتون بالسل المعوي او المساريقي ابتداءً

خلافًا لما يزعم كوخ (انظر مجلة مدرسة فيلاد لفي الجامعة عدد مايو سنة ١٩٠٢ صفحة ٦٦)
ثالثًا . أنه يوجد أحيانًا بعض الفرق بين ميكروب السل البقري وميكروب السل البشري .
ذلك من حيث الهية وكيفية الاستنبات وتفاوت القوة على العدوى . ولكن ذلك الفرق زهيد
الى الغاية وليس هو مما لا يقبل التغير كما انه ليس دائم الوجود . فلذلك لا يجب ان نعلق عليه
كبير اهمية ونستنتج منه مخالفة اصل الميكروب في البقر وفي البشر او عدم مماثلته فيهما جميعًا .
وخصوصًا اذا اعتبرنا نوع الوسط الذي يعيش فيه كل منهما اعني كمية الحرارة ونوع التغذية
والنسيج وكية المقاومة — فكل ذلك يختلف في البشر عنه في البقر ويدعو الى وجود بعض الفرق
في ميكروب السل البقري والبشري من حيث الهية والقوة على العدوى وكيفية الاستنبات
وهذا مما لا يعتد به لانه يأتي بالعدوى في اي حال كان

ابحاث الجمع الطبي الاميركي

وقد اقر القسم البكتيريولوجي في الجمع الطبي الاميركي الذي انعقد حديثًا في ولاية
نيويورك من ١٠ الى ١٣ يونيو هذا العام على فساد رأي كوخ حائثًا الحكومة الاميركية على
وجوب المحافظة على القوانين القديمة المتعلقة بمنع ادخال البقر المسولة الى الولايات المتحدة
وبوجوب النظر في امر البانها ولحومها

وقد قال الدكتور امرت (Emmert) في خطاب نفيس له في ذلك الجمع ان السل
يفتك بسبع العالم . وان ثلث وفيات الناس بين الخامسة عشرة والستين هي من السل . وان
هذا الداء الويل يفتك بالناس اكثر مما تفتك الحمى التيفوئيدية والقرمزية والدفتيريا والجذري
معًا باربعة اضعاف ونصف . وان عدد الوفيات في الاطفال تحت سن الخامسة يكثر ان يكون
سببه تدرن المساريقي او الامعاء ابتداءً خلافًا لما زعم كوخ في العام الماضي

وقد قال الدكتور امرت المذكور انه سقى عددًا من الارانب والخنزير الهندية والكلاب
لبنًا من بقر مسلول فأصابت بالسل بعد شربها اللبن بوقت قصير . واطعم العجول ايضًا بعض
الطعام الحاوي على باشلس السل البشري فأصابت بالسل خلافًا لما قال كوخ

امًا فيما يتعلق باصابة الاطفال بالسل البقري فقد ذكر في الجمع الطبي الاميركي
احصاء جمعه الدكتور وود هاند سرد فيه تاريخ ١٢٧ طفلًا مات منهم ٤٣ بالسل المعوي ابتداءً .
وذلك اتى عن تناولهم لبنًا من بقر مسلول . (انظر مجلة الجمع الطبي الامركاني عدد ١٤
يونيو سنة ١٩٠٢)

وذكر الدكتور لو Law ان طفلًا عمره سنة ونصف مات بالسل المعوي ابتداءً لانه

كان يشرب لبن بقرقة علم انها كانت مسالولة حينئذ . وروى الدكتور غوص Gosse من جنوى ان طفلة له أصيبت بالسل المعوي ابتداءً لانها كانت تُسقى لبناً من خمس بقرات علم ان اثنتين منها كانتا مصابتين بالسل وذلك بعد ان ماتت الطفلة . فانه ذبح البقرات الخمس لتحقيق اصل مرض ابنته بالفحص الرمي والمكرسكوبي

وذكر الدكتور برواردل Brouardel الفرنسي المشهور خمس بنات بين ١٤ بنتاً في احدى المدارس الداخلية في باريس توفين بالسل المعوي أصابهن ابتداءً لشربهن لبناً من بقرة المدرسة ولما أشبه في هذه البقرة بسبب كثرة الوفيات في المدرسة ذبحت وفحصت رمتها فتحققوا وجود السل فيها

هذا من حيث اللبن اما من حيث اللحم فالشواهد التي تؤيد انتقال السل من البقر الى البشر اكثر من ان تُعد

ذكر الدكتور تشمرن Tscherming من كوبنهاغن عن طبيب ييطري جرحته يده اليسرى وهو يشرح جثة بقرة مسالولة . وبعد ان شفي الجرح ببضعة اشهر ظهر تورم خبيث في محل الجرح تماماً نقرح بعدئذ ولم يتمكن الطبيب من شفائه لا بكثير ولا بقليل حتى التزم جراحه ان يستأصله بالكلية . وبعد الفحص المكرسكوبي في نسج ذلك التورم المنزوع وجد باشلس السل فيه كثيراً جداً

وروى الدكتور فيفر Pfeiffer البكتيريولوجي الشهير عن رجل عمره ٣٥ سنة قوي البنية لا أثر للسل مطلقاً في عائلته جرح بنصر يده اليسرى وبعد ان اندمل الجرح بستة اشهر ظهر في محله تورم لم يبرأ منه الرجل المذكور قط رغمًا عن كل الوسائط الفعالة التي استخدمها له . وفي نهاية السنة ظهرت عوارض السل الرئوي فيه وكان هذا سبب موته بعد سنتين ونصف ولدى الفحص المكرسكوبي تحققوا وجود باشلس السل بكثرة في التورم الذي في البنصر المجروح . وكان ذلك الرجل بيطاراً أعدي بنصره من بعض الماشية المسالولة وانتقل ذلك السل اخيراً الى ربيته فاماته

النتيجة

هذا قليل من كثير من الامتحانات العلمية والاحصاءات الدقيقة التي يستشهد بها اليوم رجال العلم والطب في اوربا واميركا لتنفيذ كلام كوخ ورأيه الجديد والظاهر انهم سيتغلبون عليه او قد تغلبوا لانهم اقوى حجة منه والشواهد حسية عديدة لا تقبل الاعتراض والرد ناهيك عن انهم يقولون بوجود التلحظ على صحة كلامهم من اللبن واللحم المشتبه فيها وهو يقول

بقلة الاهتمام بذلك . والناس اقرب الى التحفظ منهم الى قلة الاهتمام في مسائل حفظ الصحة وإطالة العمر لما نعلمه من تشبههم بالحياة واحتفاظهم بها . وهم في ذلك غير ملومين فانهم يحرون على مقتضى ميل غريزي يدفعهم الى مقاومة كل ما يدعو الى تقصير الحياة او جلب الشقاء
سان باولو . برازيل
الدكتور سعيد ابو حمرة

الزواج والمشاهير

من الاقوال الماثورة ان كبار الانام الذين اشتهروا بالعلم والفضل او بالسياسة والرئاسة او بغير ذلك من المطالب فلما يتزوجون وان تزوجوا تأخروا في زواجهم وقل اولادهم كأن الارثقاء بلغ فيهم حدة وهم ثمرة فرعهم وغاية ما ينتهي اليه قبيلهم . وقد بحث الاستاذ ثورديك الاميركي في هذا الموضوع بحثاً استقرايياً فلم يجد ما يؤيد هذا القول من حيث الزواج . ذلك انه اخبر ١٢١٨ رجلاً من المشاهير الواردة اسماؤهم في كتاب الاعلام الاميركي وبحث عنهم من حيث تزوجهم والسن الذي تزوجوا فيه فوجد

٢٨٦	منهم سنهم بين ٦٠ و ٧٠	والمتزوجون منهم ٨٨	في المئة
٢٤٧ و	" " " ٥٠ و ٦٠	" " ٨٨	" "
٣٤٢ و	" " " ٤٠ و ٥٠	" " ٨٨	" "
٢٤٣ و	" " " ٣٠ و ٤٠	" " ٨٥	" "

والمتزوجون من الرجال سكان اميركا كاهم على ما في هذا الجدول

من الذين سنهم بين ٦٠ و ٧٠	٩٣	في المئة
" " " ٥٠ و ٦٠	٩٢	" "
" " " ٤٠ و ٥٠	٨٩	" "
" " " ٣٠ و ٤٠	٧٩	" "

فالفرق قليل جداً بين المشاهير وغيرهم من هذا القبيل

وظهر له من بحث آخر ان المشاهير يتزوجون ابر من غيرهم خلافاً للقول الشائع فالذين سنهم اربع واربعون سنة مثلاً وقد تزوجوا بين الخامسة والعشرين والثلاثين من عمرهم يباغون من المشاهير ٤٣ في المئة ومن غيرهم ٤١ في المئة فالزواج الباكر شائع بين المشاهير أكثر مما هو شائع بين غيرهم . ولم يبحث عن مواليد المشاهير وغيرهم ونظن انه لو بحث لراى ما يؤيد القول الماثور وهو ان نسلهم يقل رويداً رويداً الى ان ينقرض

تعليم الحيوان

للورد اقبري الذي كان اسمه اولاً السرجون لبك مباحث طليّة جدّا فانه من كبار المالين لكن اشتغاله بالمال لا يمنعه من الاشتغال بالعلم ولا سيما المباحث العلميّة الكثيرة التجارب التي تسلي المشتغل بها كالبحث عن طبائع النمل والنحل . وقد قرأنا له الآن مقالةً نشر فيها خلاصة تجاربه في تعليم الكلاب القراءة على نسق تعليم الصم البكم من البشر وفي البحث عن سماع النحل والنمل وهالك خلاصة ما اورده فيها

اتى بقطعتين متساويتين من الكرتون (المقوّى) طول كل منهما ٢٥ سنتيمتراً وعرضها سبعة سنتيمترات وطبع على واحدة منهما كلمة طعام بالانكليزية " food " بحروف كبيرة ولم يطبع على الثانية شيئاً ووضع الاولى على صحفة فيها قليل من الخبز واللبن والثانية على صحفة فارغة واتى بكلب اليف من الكلاب الصغيرة التي لها شعر طويل جعد وهي مشهورة بشدة نباهتها وسمح له ان يرفع القطعة عن الصحفة التي فيها الخبز واللبن ويأكل ما فيها وكرره ذلك مراراً حتى شبع . ثم اعاد ذلك مدة عشرة ايام متوالية فصار الكلب يميز بين القطعة التي عليها الكتابة والقطعة الخالية منها . وبعد ذلك طرح القطعتين على الارض وامره ان يأتي بهما فصار اذا جاءه بالقطعة التي عليها الكتابة يعطيها لقمته من الخبز واذا جاءه بالاخري يطرحها ولا يعطيها شيئاً واستمر على ذلك شهراً من الزمان فصار الكلب يميز بين هاتين القطعتين تمييزاً واضحاً

واتى بقطع كثيرة من الكرتون طبع على واحدة منها كلمة " خارج " وعلى الثانية كلمة " شاي " وعلى الثالثة كلمة " عظم " وعلى الرابعة كلمة " ماء " وعلى قطع اخرى كلمات اخرى لا يهم الكلب امرها وابقى بينها قطعاً يبيضاء لا كتابة عليها فتعلم الكلب بعد زمن قصير ان يميز بينها ويأتيه بالقطعة المطلوبة منها فاذا جاع اتاه بالقطعة التي عليها كلمة طعام واذا عطش اتاه بالقطعة التي عليها كلمة " ماء " واذا اشار اليه بالخروج من البيت اتاه حالاً بالقطعة التي عليها كلمة " خارج " واسرع بها الى باب البيت

وكان يغير له اوضاع هذه القطع واماكنها حتى لا يهتدي اليها من وضعها بل من شكل الكتابة التي عليها . ثم خاف ان يكون اعتداؤه اليها من رائحتها فطبع كلمة طعام على قطع كثيرة وكذلك كلمة شاي وهلم جرا وكان اذا جاءه بقطعة عليها كلمة طعام يأخذها منه ويضع قطعة غيرها بين القطع فيهتدي اليها ويأتيه بها فيأخذها منه ويضع غيرها وهلم جرا

حتى لقد ببدل له ١٨ قطعة فلا يتعدّر عليه الاهنداء اليها دلالة على انه كان يميزها برسم
الكتابة التي عليها لا بشيء آخر . وكان يضع قطعة عليها كلمة ماء في غرفة يمر بها مراراً كثيرة
كل يوم وكان الكلب يتبعه دائماً في خروجه ودخوله ويمر بهذه القطعة فلا يلتفت اليها الا
حينما يعطش فيلتقطها ويأتيه بها

وكان يخطئ أحياناً ولكن خطأه قليل جداً . طلب منه مرة ان يجلب له القطعة التي
عليها كلمة طعام مراراً كثيرة فأتى بها ثمانين مرة واتي بالقطعة التي عليها كلمة شاي ٣١ مرة
وكان مع هاتين القطعتين عشر قطع اخرى فأتى باثنتين منها مرة واحدة وكان على واحدة
منها كلمة تقرب من كلمة طعام وهي كلمة باب door والمشابهة كبيرة بينها وبين كلمة طعام food
فلم يخطئ أكثر مما يخطئ ولد عمره ست سنوات

وانخرقت صحته ذات يوم وكان واحد يتغدى مع اللورد افبري واراد ان يمتحنه امامه فاشار
اليه ليأتيه بالقطعة التي عليها كلمة طعام فلم يفعل فلج عليه فاتاه بالقطعة التي عليها كلمة "بيت"
فانتهره موجهاً فعاد واتاه بالقطعة التي عليها كلمة شاي فسكب له فيجان شاي فلم يشرب منه مع
انه كان مغرمًا بشربه وهي المرة الوحيدة التي ابى فيها شربه

وكان عند اللورد افبري كلبه من الكلاب الكبيرة كانت ترى هذا الكلب يجلب القطع
ويعطى الطعام فلم يخطر ببالها ان تفعل فعله مع انها رآته يفعل ذلك مراراً لا تحصى
ثم اراد ان يرى ما اذا كانت الكلاب تميز الالوان بعضها عن بعض فأتى بست قطع من
الكرتون ولون اثنتين منها باللون الاصفر واثنين بالازرق واثنين بالبرتقالي وجعل يمسك
قطعة منها بيده ويشير اليه ليأتيه بالقطعة الملونة مثلها وكان اذا جاءه بالقطعة المطلوبة
يطعمه شيئاً يستطيه واذا جاءه بقطعة غيرها يأخذها منه ولا يطعمه شيئاً وبامره ان يأتي
بغيرها . واستمر على ذلك ثلاثة اشهر فلم يدرك الكلب التمييز بين هذه الالوان الثلاثة فظن
ان سبب ذلك خلل في باصرته لان من الناس من لا يميز بين بعض الالوان ويقال لهذا الخلل
العمى اللوني . فامتنحه في تمييز الاعداد فرسم على لوحة خطاً واحداً وعلى لوحة اخرى خطين وعلى
لوحة ثالثة ثلاثة وحاول تعليمه الفرق بينها واستمر على ذلك عشرة اسابيع فلم يفلح . ولكنه لا
يحسب ان تجاربه تدل دلالة قاطعة على ان الكلب لا يمكن ان يميز بين الواحد والاثنين
والثلاثة فان العالم لروى استدلال على ان الغراب يعد الى حد الاربعة وذلك انه اراد ان يصيد
غراباً من قفرة وكان الغراب حذوراً لا يدنو منها ما دام احد فيها فادخل اليها رجلين ثم
أخرج رجلاً منهما فلم يدن الغراب منها كانه علم ان واحداً من الاثنين لا يزال فيها . ثم ادخل

اليها ثلاثة رجال واخرج اثنين منهم فلم يدن الغراب منها ايضاً كأنه ميزانه لا يزال فيها واحد.
فادخل اليها ستة رجال ثم اخرج خمسة منهم فضاع الحساب على الغراب وحسب ان الرجال
خرجوا كلهم من القفرة فدنا منها

ورأى لشنبرج ان العندليب يميز العدد الى الثلاثة ايضاً مثل بعض المتوحشين فانه كان
يفديه ثلاث دودات كل يوم يطرح له الدودة الاولى فيلقطها ويذهب يأكلها ثم يعود فيطرح
له الدودة الثانية فيفعل كما فعل اولاً ويعود اليه فيطرح له دودة ثالثة فيذهب ولا يعود الا
في اليوم التالي

وقال اللورد اقبري انه كان اذا وجد بيضتين في عش واخذ واحدة منهما عرف الطائر
ذلك وترك عشه ولكن اذا كان في العش اربع بيضات واخذ واحدة منها فالغالب ان الطائر
لا يدرك ذلك فلا يترك عشه

وقال ايضاً ان الزنابير التي تجمع الديدان وتضعها في وكرها طعاماً لها يجمع كل نوع منها
عددًا محددًا من الديدان خمساً او عشرًا او خمس عشرة وكل منها يجري على وتيرة واحدة
لكنه يزيد المجموع او يقلله حسبما ينتظر ان تولد صغاره فان كان ينتظر ذكراً جمع له خمس
دودات مثلاً وان كان ينتظر انثى جمع لها عشر دودات لان انثى الزنابير اكبر من الذكر وتأكل
اكثر منه فهو يعد الخمسة ويعلم ما اذا كانت بيضته تنقف عن ذكر او عن انثى. لكن يظهر ان
اللورد اقبري مرتاب في صحة امر العد او في ان هذه الزنابير تجمع الدود خمسات خمسات لصغارها
ومن قبيل ذلك الزنابير التي تبني بيوتاً من الطين لصغارها في الجدران العالية وتخزن لها
العناكب طعاماً لها بعد ان تسعها لسعاً يمنعها عن الحركة ولكنه لا يميته فتحفظها القوة الحيوية
من الفساد وقد رأيناها مراراً في بلاد الشام ورأينا العناكب في بيوتها ولم يخطر لنا حينئذ ان
نعدّها لكننا لا نظنها كثيرة الى حد العشرة او الخمسة. فعسى ان يراقبها بعض قراء هذه
السطور ويخبرونا بما يرونه فيها ويجب ان يفرقوا بين الدود الذي يصير زنابير والديدان او
العناكب التي تكون معه طعاماً له

ثم ذكر لورد اقبري بعض التجارب التي اجراها ليعرف بها مدارك النمل والنحل فقال
انه افرخ جهده ليعلم ما اذا كانت النمل تسمع الاصوات المختلفة كصوت الزمارة والصفارة
فلم يظهر انها تسمع شيئاً منها. فحاول ان يعلم ما اذا كانت تدعو بعضها بعضاً بصوت
لا نسمعه فنصب امام قرية من قراها ستة اعمدة صغيرة من الخشب ارتفاع كل منها نحو اربعة
مستطرات ووضع على رأس ثلاثة منها قليلاً من العسل ووضع عليه بعض النمل فجعلت تأكل

منه حالاً ولو سمح لها ان تنزل وتعود الى قريتها لاهتدى كثير من النمل الى العسل ولكنه لم يسمح لها بذلك بل رفعها بيده ووضعها حيث لا يمكنها الرجوع الى قريتها ووضع غيرها بدلاً منها واستمر على ذلك اربع ساعات وقال انه لو كان النمل ينادي بعضه بعضاً لنادت هذه النملات غيرها ليأتين ويأكلن معها ولكنها لم تفعل بدليل انه لم يصعد على هذه الاعمدة الثلاثة الا سبع نملات وصعدت على الاعمدة الاخرى التي لا عسل عليها سبع نملات اخرى فصعودها عليها من باب الاتفاق وهي تسعى في طلب رزقها لا بنداؤ خاص من اخواتها . ثم ترك بعض النمل يأكل العسل ويرجع ادراجه الى قريته فلم تمض مدة طويلة حتى اجتمع على العسل ٤٣ نملة . وكرر هذه التجربة مراراً عديدة فكانت النتيجة واحدة

وظهر له من تجربة اخرى ان النمل اذا اراد ان يعرب عن مراده لغيره لم يعرب عنه بالكلام بل بوسائط اخرى فانه كشف قرية من قرى النمل الصناعية للشمس فخرج النمل منها وتفرق ثم ظلل جانباً منها حتى اظلم فاهتدى اليه بعض النمل وعاد يفتش عن غيره ويأتي به اليه وكانت النملة المهتدية تقبض على اختها وتحملها على ظهرها وتذهب بها الى ذلك المكان المظلم ثم تعود وتأتي بغيرها . فالنمل جمهوري اشتراكي تسعى كل نملة منه الى اشراك غيرها في ما تجده من المنافع ولكنه لا يستطيع التعبير عن مراده بالكلام ولا بالاشارة فيلجأ الى هذه الوسطة . اما استدراج النمل بعضه بعضاً اذا اكتشف طعاماً فالمرشد فيه الرائحة لا الكلام

وعاد من التجارب في النمل الى التجارب في النحل لما هو مشهور من ان النحل يسمع وانه اذا طار خشرم منه زعقوا له وقرعوا النحاس ونحوه لكي يجتمع ويعود الى خليته فاتى بصندوق موسيقي ووضعه في حديقة فيها خلايا النحل واداره ووضع عليه قليلاً من العسل حتى يسمع النحل صوت الموسيقى وهو ياكل العسل فيحسب ان بينهما علاقة واستمر على ذلك عشرة ايام ثم رفع الصندوق ووضعه في مكان مرتفع يطل على الحديقة فلم تهتد اليه نحلة من النحل مع ان صوته كان يملأ الحديقة . ثم اعاده الى الحديقة فاهتدى النحل اليه حالاً . وبعد تجارب كثيرة من هذا القبيل استنتج اما ان النحل لا يسمع مطلقاً فلا يستطيع ان يهتدي الى العسل من صوت الصندوق او انه يسمع ولكن المدة التي سمع فيها الصوت الموسيقي غير كافية لتجعله يعلق وجود النحل به واثباتاً لامر من هذين الامرين وضع العسل على الصندوق الموسيقي وعلى لوح من الزجاج ووضع الصندوق واللوح في الحديقة على بعدين متساويين من المكان الذي كان يضع الصندوق اولاً فيه وبعد نصف ساعة رأى على العسل الذي على الصندوق كثيراً من النحل واما العسل الذي على لوح الزجاج فلم يهتد النحل اليه . وكرر

هذه التجربة فوجد النحل يذهب الى العسل الذي فوق الصندوق لا الى العسل الذي فوق لوح الزجاج ولكنه رأى ان النحل يهتدي الى الصندوق سواء كانت الآلة الموسيقية دائرة او غير دائرة اي سواء خرج منه صوت او لم يخرج فلم يكن ارتشاده اليه بالصوت . ويظهر لنا ان شكل الصندوق هو الذي هدى النحل الى العسل

ومن رأي بعض العلماء ان النمل والنحل يسمعان الاصوات العالية جداً التي لا يسمعاها الانسان وانه ان كان لها اصوات فتكون من هذا القبيل

بمثل هذه المباحث يتسلّى عظماء الامم الراقية مراقبي الفلاح . فهاذا يتسلّى عظماءنا ياترى وهم احوج من غيرهم الى البحث عن شيء مفيد . في المقالة التالية المعنونة بشرف العمل بيان كافٍ لما آلت اليه احوال قومنا وفي التي بعدها مثال ما تفعل الهمم اذا انفكت قيود الاوهام

شرف العمل

من المشروعات المفيدة في هذه الديار ما قامت به جمعية "العروة الوثقى" في الاسكندرية من تأسيس مدرسة صناعية نسبتها الى "محمد علي" رأس الأسرة الخديوية . وقد دبت الايام ودرجت الشهور وما برحت الهمم متقاصرة والمبالغ التي جمعت لا تسد عوز النصف مما ينبغي لهذا المشروع الجليل

لا أشير الى نتيجة هذا العمل على فرض حصوله اذ ليس المقام مقام نبوات والمستقبل بكشف القناع عن وجه الحقيقة . وغاية ما ينبغي ان يقال في هذا الباب ان اهل هذه البلاد والمسلمون منهم خاصة لكثرة سوادهم احق الناس بالتوفر على مذاهب المعاش الثلاثة من زراعة وصناعة وتجارة والزهد في الإمارة او الاستخدام لانها ليست بمذهب طبيعي للمعاش

مضت قرون على قومنا حسبوا الخير برمته محصوراً فيهم وان فضل الله لم يؤت به ولن يؤت به سواهم وان عندهم كل شيء وان حسن اليقين والتسليم للاقدار يغنيانهم عن تعرف كل جديد .

اغثروا وبالا لضيعة الآمال بظواهر الحال ذاهبين الى ان الاغيار مهما بلغوا من درجات الرقي بفضل عقولهم لا يدركون شأوسلف هذه الامة في كل منحي من مناحي الحياة فاكثفوا من

ثم بعلالات هي بالاطفال التي منها بالرجال وبالامم المائنة اشد علاقة منها بالامم الحية ولما انسال تيار الغرب على الشرق واستصفي معظمه واستبجح حتى البقية او كاد اصبح القوم

يشعرون بان تلك الدعاوي الطويلة العريضة على فرض صحتها لا طول فيها ولا طائل تحتها وان قد انقضى دور التعزّي بالاقوال اذ هي لا تُعني غناء الافعال بحال من الاحوال بلغ اهل بعض البلاد هذا المبلغ من الفكر بعد إيقانهم بان من خرق الرأي ثقة المحكوم عليهم يحكامهم في كل شأن من شؤون الحياة لاسيما وقد اثبتت التجارب ان اغلبهم زعماء شهوات لا زعماء نهضات وامراء جبايات لا امراء زراعات وصناعات

نعم ان ما قام من الحضارة في بعض ادوار الممالك الاسلامية كان بمحسنات ملوك وامراء اوجدوا بعلمهم وعدلهم العالم والعامل فانقلب الامر الى ضده لما قضى عليهم حتى قيل "الدول اسواق يحمل اليها ما يروج فيها" ولكن من قال اننا لم نكن في كل ايامنا اهل اتكال مجسم ولم يسجل بان كل ما اتت به الشريعة من الحث على السعي والتعلم لم تأخذ منه النفوس الا جهد طاقتها ومبلغ حاجتها

حاذر الاسلام من عواقب الكسل فحض على العمل ولم يأمر بالزهادة على النخل والذي عرفه المتأخرون المعطلون وجاء حاثاً على الاخذ من خيري الدارين غير آمر بالخروج عن سنن الكائنات ولولا قواعد سنت لصالح العمران ما وجدت في المسلمين من يقوم على زرع ارض او ايجاد صناعة وتجارة لكثرة ما دسه المشعوذون من الزهديات المتبطنات والخرافات المضنيات بل ولولا الحاجة الطبيعية الدافعة في بعض اقطار المشرق ما رأيت من يفكر في استخراج البر من سنابله او يحسن عمارة المساكن او يعرف نسج الثياب

ولذا ترى اكثر الفقهاء صبغوا القواعد العمرانية بصبغة دينية فقالوا ان الفلاحة والنساجة والبناية فرض على الكفاية. وقام بعد السلف خلف وهموا بالدخول في غمار العاملين مربيًا بصاحبه ان كان له ما يكفيه من حطام الدنيا. وقد اجمع علماء الاجتماع والدين ان كل عمل جسدياً كان او عقلياً لا يثلم شرف الاخذ نفسه به. وان كل ما ساغ ربحه وجوزّه قانون لا يُعد الاشتغال به عُرّة في وجه الاحساب ولا مضیعة للاستعداد والكفاءات ولا مَثلَفة للقرائح والعقول. قال علي كرم الله وجهه اني لأرى الرجل فيعجبني فأقول ألهُ صنعة فان قالوا لا سقط من عيني

سرّ هذا الخراب العظيم الذي تُصاب به البيوتات في مصر والشام احنقار الاجداد والآباء للصناعات والزراعات والتجارات واكتفاؤهم من تربية ابناءهم بان يغرسوا في عقولهم حب الاحتفاظ بثرواتهم والاعتماد عليها وان احسن ما يعملونه بعد وفاة والديهم الجري على آثامهم. وقد رأينا كثيرين جزعوا من تبديد مخلفاتهم من بعدهم فاوقفوها ولكن ابناءهم وورثتهم نقضوا

ما ابرمه اولئك المورثون وتصرفوا فيها بما شاءوا

ولو علم الآباء والاغنياء منهم خاصة ان خير ذخير يبقونه لاولادهم بث الملكات الصحيحة فيهم وان الثروة هي العمل وان الارض لا توجد الثروة ما لم تبذل العناية في استثمارها واستنباطها وان الثروة ليست عبارة عن نقود ولا امتلاك عقارات وقرى للقنوا ابناؤهم ما يرتفعون به عن الدنيا اذا تجردوا يوماً عما يملكونه

هذه الثروات الطائلة التي تضمحل كل يوم وتسمع من انبائها عجباً كانت بمأمن من غوائل التبديد لو عرف وارثوها قدر العمل وقيمة المال وطرق اكتسابه. وتدارك اهل الغرب سر هذه القاعدة فرأينا مئات من بيوتاتهم في المانيا وانكلترا وفرنسا وغيرها من الممالك دامت لها النعمة عدة قرون وبطون على حين لم تدم نعمة بيت في بلادنا الا ثلاثة اجيال في الغالب

ماذا اصاب سكان غربي آسيا وشمالى قارة افريقية حتى زهدوا في الصنائع وغالى كبرائهم في احقارها فمحققت الا بقايا تدل على القديم دلالة الاثر على مؤثره. وليت شعري هل اضمحلت باسباب خارجية ام داخلية وجدت في جو البلاد من ظلم حكومة واشتطاط قانون وديانة نابذ اهلها من لم يقولوا بقولهم وتمكث خرافات في النفوس حتى وصلت الى البلاد. ام عرت اهل البلاد امور طبيعية ربت فيهم الخمول وعشتت الجبر المحض في قلوبهم فطفئت جذوة العمل من رؤوسهم. وسكان الاقطار الحارة على رأي العمرانيين تضعف قواهم العقلية والجسدية وتغلب عليهم الخفة والطيش فيطربون للجزيات ويتأثرون بها ولا يكون للكليات ولا يحزنون عليها. وكما درت اخلاف الطبيعة وامرعت اكناف الغبراء بخيرات الخضراء واصبح الرزق ميسوراً اخضب السكان فاستحوذت البطالة على النفوس

فاذا كان هذا هو الداعي لفقدان الصنائع وانحلال الاجسام بحيث بعدت عن العمل فلم لم يصب سكان الشمال الغربي من آسيا وان شئت فقل الشمال الشرقي بما اصبنا به منذ قرون وبلادهم ليست دون بلادنا بحرارتهما متشابهة بطبائع اقاليمها واهلها. وها اننا نرى الفرس وهم اخواننا في الانحطاط لم يزالوا متوفرين على الصنائع شانهم في القديم وامتازوا بها على مجاورهم امتياز الانكليز على جميع امم الغرب بميلهم الى الصناعات قديماً وحديثاً مما دعا الى تقدمهم اشواطاً الى الامام فصاروا كالطلائع من جيش المشاركة وغيرهم كلقواعد والمخلفين

وبلغنا لهذا العهد عن اهل الطبقة العالية في ايران وبخارى والافغان انهم يقضون الساعات في عمل ما من نجارة وحدادة وحياسة ورسم وخط ونقش وحفر وغيرها يتلهون بها ويعودون بالمران عليها عضلاتهم وان لم يتوقع اكثرهم منها نفعاً مادياً شأن اغنياء الغرب لهدنا

فانه لا بد لكل واحد منهم ان يختص بصناعة تفيد مجتمعه وتسليه في وحدته وتروض جسمه وترفع قدره عن نسبة البطالة اليه " وغبار العمل خير من زعفران العطلة ". ولعلّ الفرس ورثوا حب الصناعات فتسلسلت فيهم لانهم من اصل آريّ يجنمعون والسكسونيين في جرثومة واحدة كما يقول الباحثون في اصول الشعوب

ألا وان الصناعات ليست كما يعتقدونها في بلادنا من أشربت قلوبهم مقت العمل وربوا في مهاد الاتكال والكسل . فقد مارسها كبار رجال الخليفة وما نقززوا منها وهم ينزعون الى اسمي المطالب وينشدون اشرف الغايات . فقد كان نوح نجاراً وموسى راعياً ومحمد تاجراً واصحابه كانوا يتاجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم وكان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان برّازين وعمر بن العاص جزازاً وسعد بن ابي وقاص يبري النبال وابو حنيفة النعمان خزازاً يبيع الخبز وابو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية كان على غناه يجلب المواشي الى الكوفة والثعالي صاحب اليتيمة كان قرّاءً يخيّط جلود الثعالب والحريري صاحب المقامات كان يعمل الحرير ويبيعه وابن حوقل الجغرافي كان تاجراً وياقوت الحموي الجغرافي اشتغل بالتجارة وابو بكر القفال الفقيه المروزي كان ابتداءً اشتغاله بالعلم على كبر السن بعد ما افنى شببته في عمل الاقبال وابو منصور الجواليقي احد الائمة في فنون الادب نسب الى الجواليقي وبيعها وابو اسحق الزجاج النحوي كان زجاجاً . وهكذا لو نقصت سير المشاركة من قبل تجد في علمهم وامرائهم الفلاح والنساج والحائك والقرّاء والخياط والصفار والقصار والمعمار والحجار والعطار والبيطار والدهان والسمان ومثلهم كثير في المغاربة^(١) فقد كان من الصنائع طاليس رأس الحكماء السبعة وصولون المؤسس الثاني لاثينا وكان افلاطون الحكيم زياً يطوف بلاد مصر وسينوزا الفيلسوف اليهودي عاش بصقل زجاجات المناظر ولينيوس النباتي تعلم وهو يعمل في السكافة وشكسبير رأس شعراء الانكليز كان يدير الملاعب وداود ريكردو واضع الاقتصاد السياسي كان تاجراً وبيلي الفلكي كان سمساراً ويوحنا ستورت ميل الفيلسوف فاحصاً في شركة الهند الشرقية . وتعلم فرغوسن الهيئة وهو مرتد بجلود الغنم على رؤوس التلال ولمل درس طبقات الارض وهو يعمل في المقالع . وكثيرون من الاحياء تجرون ويحترفون فان رئيس جمهورية سويسرا يتاجر بالاقشة واللورد روزبري كبير وزراء انكلترا له تجارة واسعة ببيع اللبن واللورد لوندندري ببيع الفحم واللورد هارنجتون ببيع الثار والبقول

لا جرم ان النهوض بالشرق متعذر ما لم يسع اليه كبراًؤه ومتى فكرت الطبقة العالية فيما

(١) راجع كتاب سر النجاح لمعريه منشئي المقتطف فيه الغنية من اخبارهم

انتهت اليه حال البلاد يحسن حال الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا ومتى قام في الامة أناس مثل كمال بك وهدايت باشا وغيرها من الرجال العاملين يُرجى للشرق بعض الرجاء ان يلحق بشقيقه الغرب . واليك مثلاً من حال هذين الرجلين في العلم والعمل
 كمال بك رأس النهضة العثمانية الاخيرة وقائد عصابتها واكبر كاتب وشاعر تركي عرف معنى الوطن والوطنية . ومن جملة ما عمله في احدى نفياته الى جزيرة رودس ان تقرب من بعض معلمي الكتاتيب وطقى يصلح لهم طرق التدريس ويث الغيرة في قلوبهم وقلوب تلامذتهم من تربية الملكات تربية صحيحة وتلقين العلم النافع ولم تمض سنوات حتى تخرج بفضلِه نحو ثلثائة طالب قاموا بدعوته واهتدوا بهديه

وكان من امر هدايت باشا انه مرّ بجلب على ما روى فاضل حكيم ذاهباً الى البصرة والياً عليها فلما كان يطوف ازقة الشهباء بصرفاعلاً يخمر الطين علي طريقة صعبة لا يحسن بها فوقف قائلاً للفاعل ما هكذا يعمل الطين وأشار اليه بكيفية اسهل واحسن فلم يفهمها فما كان من المشير المشار اليه الا أن خلع حذاءه وسراويله وراح من ساعته يغوص في الطين الى نصفه ليعلم العامل كيف يجبل التراب . وصارت القاعدة التي علمه اياها مطردة الاستعمال عند كل طيانة حلب الى هذا اليوم

فيمثل هذين الرجلين تحيا العلوم والصنائع وترثي البلاد بمادياتها ومعنوياتها ومن لنا بامثالهم يؤسسون في كل مدينة وبلدة من بلدان المشرق مدرسة او معمل للصناعة والزراعة والتجارة . وبعيد علينا محاكاة سابقينا دفعة واحدة فللكون سنن لا يتعدها ولا لارتقاء مدارج لا مناص من الصعود عليها ينبغي لنا ان نهض بانفسنا لا بحكامنا ونتشبه بالناجحين ما ساعدت المكنة ونبدأ بالجزئيات لنصل منها الى الكلليات

والعالم ميدان جهاد لا تنفع فيه الا الحكمة العملية ولا يسبق الا من توفرت لديهم ادوات الكفاح ونفتت في نفوسهم روح العلم . وكنوز السعادة مرصودة لاهل الجلالة والنجاحة وسر النجاح مكتوم في بطون الليالي لا يفشى الا لمن تسعه صدورهم . وعلى نسبة رجال الامة العاملين يحسن حالها في العالمين . فطوبى لمن بورك له بساعات حياته فانفقها في جلب المنافع ودرء المضار وعرف ان الوقت نقد عزيز والعمر ركاز ابريز فضن بهما وسعى في ايقاظ شرقنا من رقدته المزمنة وإنعاشه من صرعته المحزنة
 محمد كرد علي

نبا من اليابان

التجارة

بسطنا الكلام في الجزء الماضي على ركنين من اركان العمران في بلاد اليابان وهما الديانة والتعليم وقلنا ان ديانة اليابانيين تهذب الاخلاق وتدمت الطباع وتغري بالسعي والجد ولا تمنع ذوبها عن مخالطة الغير واقتباس الفوائد منه ولا تغرر بهم فتقنعهم انهم افضل خلق الله جيلة ومعتقداً . وهي تعلي شأن الفضيلة والهمة والبسالة والكرم لان مدارها على عبادة السلف والمرة ميال الى وصف اسلافه بهذه المحامد والى الاقتداء بمعبوده . وان التعليم صار اجبارياً في تلك البلاد حينما سارت في سبل العمران الجديدة . ولا ندري كيف وجدت العدد الكافي من المعلمين ولكن يظهر ان معرفة القراءة والكتابة كانت شائعة فيها قبل نهضتها الحديثة ولذلك لم يتعذر عليها ان تجد اكثر من مئة الف مدرس لمدارسها الابتدائية والعالية

ونأتي الآن الى الكلام على الركن الثالث وهو التجارة . وقد جرت العادة في مثل هذا البحث ان تقدم الزراعة والصناعة على التجارة ولكن الزراعة قديمة في يابان وقد بلغت حد الانقراض فيها قبل هذه النهضة الجديدة وهذا شأن الصناعة اليابانية التي يعتمد فيها على يد الصانع واما الصناعة التي يعتمد فيها على البخار في المعامل الكبيرة فسيأتي الكلام عليها . وكذلك التجارة قديمة في بلاد يابان كما هي قديمة في غيرها من بلدان المشرق ولكن لا نسبة بين ما كانت عليه وبين ما صارت اليه بعد النهضة الجديدة . وكان اليابانيين رأوا ان مقام الامم يتوقف على ثروتهم وان مصدر الثروة الاصلي الزراعة والصناعة ولكن لا تصير حاصلات الارض ومصنوعات الصناعات مالا ما لم يُتجر بها اي ما لم تُرسل الى البلدان الاخرى وتبدل بالنقود او ببضائع تحتاج اليها البلاد فاذا كان زيد يأكل في سنته عشرة ارباب من الحنطة لا غير وغلت ارضه اربعين ارباباً ولم يستطع ان يبيع الثلاثين الزائدة عن طعامه ولا ان يقايض بها كانت خسارة عليه واذا اخذها منه تاجر ولم يدفع اليه من ثمنها الا نفقات استغلالها لم يكن له نفع منها فيقتصر في السنين التالية على ما يسد رمقه ويقوم بكفافه وهكذا تضعف الزراعة وتضعف المهمة . وقس على ذلك مصنوعات الصناعات فانها اذا بقيت مقصورة على حاجة اصحابها او حاجة اهل بلادهم فلا سبيل الى زيادة ثروتهم منها

هذه الحقيقة ادركها اليابانيون فأنشأوا الشركات التجارية لكي لا يستأثر غيرهم بربح تجارتهم بل يكون ربحها لهم وساعدتهم حكومتهم لان نجاحهم نجاحها وفشلهم فشلها . ومن حين نهضوا

نهضتهم الجديدة زادت تجارتهم زيادة لا مثيل لها كما ترى من هذا الجدول . وقد ذكرنا فيه قيمة متاجرهم اي الصادر من بلادهم والوارد اليها بالجنهيات الانكليزية

سنة ١٨٦٨	٢ ٦٠٠ ٠٠٠ جنيه
١٨٧٨ "	٥ ٩٠٠ ٠٠٠ "
١٨٨٨ "	٤٤ ٣٠٠ ٠٠٠ "
١٨٩٨ "	٤٩ ٠٠٠ ٠٠٠ "
١٩٠٠ "	٥٢ ٢٠٠ ٠٠٠ "

ونحو نصف ذلك ثمن الصادرات والنصف الآخر ثمن الواردات اي ان تجارة البلاد الخارجية كانت تساوي نحو مليونين ونصف منذ ثلاثين سنة فصارت تساوي الآن اكثر من خمسين مليوناً فزادت عشرين ضعفاً وهذه الزيادة بالغة جداً وهي ليست من ارتفاع الاسعار لان الاسعار هبطت كثيراً في هذه الاثناء بل من كثرة الصادرات والواردات والتجارة الصادرة ثابتة وآخذة في النمو لانها مرتبطة ببلدان كبيرة كثيرة المقطوعة كاميركا والصين وانكلترا وفرنسا فتبلغ قيمة الصادر الى الولايات المتحدة الاميركية نحو ستة ملايين من الجنهيات والى هنغ كنغ الانكليزية نحو اربعة ملايين والى بلاد الصين نحو ثلاثة ملايين والى فرنسا نحو مليونين . وموادها التي عليها الاعتماد الاكبر الحرير الخام وقيمتها نحو ستة ملايين جنيه والحرير المنسوج وقيمتها نحو مليوني جنيه والقطن المغزول وقيمتها نحو ثلاثة ملايين جنيه والفحم الحجري وقيمتها نحو مليوني جنيه والنحاس وقيمتها اكثر من مليون جنيه . وكلها من الضروريات التي لا يستغنى عنها

وهذه التجارة نامية متزايدة في بلدان المشرق اي مع الصين وكوريا والهند وبحسب اليابانيون ان لهم الحق الاول في القبض على زمام التجارة الشرقية لقرب بلادهم من بلدان المشرق ولرخص مصنوعاتهم حتى ان منسوجاتهم القطنية تباع في بلاد الصين بارخص مما تباع به المنسوجات الصينية

ورجال اليابان ينظرون الى مستقبل بلادهم من هذا القليل بعيون ملؤها الامل وقاوب طالحة سروراً كيف لا وهم يحسبون انهم سيقبضون على زمام تجارة المشرق حتى لا يبقى لهم مناظر فيه ويكون شأنهم في بحاره شان الانكليز في بحار المسكونة

قال احدهم البارون سبوساوى للمسترسد " ارى اننا قد صرنا الآن اقدر من غيرنا على اقامة اسواق المشرق ولو اقتصرت تجارتنا على المقايضة . مثال ذلك اننا نجلب من كوريا الارز

والفول والجلود والعظام ونرسل اليها المنسوجات القطنية والحريية ونحو ذلك مما يحتاج اليه وستحوّل تجارة البلدان الشرقية الى يدنا كما بحق شرعي. ولا اظن انه يسهل علينا ان نناظر الاوربيين والاميركيين في اسواقهم لان آلاتهم ترخص المصنوعات كثيراً ولان الصانع الياباني حديث العهد في استعمال الآلات وانقان الصناعات فلا يستطيع ان يباري الصانع الاوربي والاميركي ولو كانت اجرتة رخيصة. وسيمر علينا جيلان او ثلاثة قبلما يصير صناعتنا مثل صنائعكم مهارة وفي غضون ذلك يكون اصدار بضائعنا الى بلادكم خاماً ارجح لنا من عمل المصنوعات منها وارسالها اليكم مصنوعة. ونحن نصدر الآن الى اوربا واميركا شايًا وارزًا وحريرًا ونحماً ونحاساً وخزفاً. وارجو واتوقع ان يأتي الزمن الذي نناظر فيه امم الارض بمصنوعاتنا ولكنه لا يزال بعيداً بحكم الضرورة

وقال باماموتو مدير بنك يابان. "لا تزال بلادنا حديثة العهد بالتجارة ولكن وسائلها ميسرة للصناعة وستكفي حاجتها من المصنوعات وترسل ما يفيض عنها الى الصين وسائر اسواق المشرق لرخص ثمن الفحم فيها وبخس اجور العمال ولان فيها كل وسائل النقل وقد ثبت لنا ذلك من نمو معامل الغزل والنسيج في السنوات العشر الاخيرة"

ومتى كبرت نفوس الناس حتى لا يقنعوا بالقليل ولا يتوكلوا وجدوا مذاهب الرزق مفتوحة امامهم وان سددت فتحوها بعزائمهم "ومن خطب الحسنة لم يغلبها مهر" والله درّ ابن هاني حيث قال ولم اجد الانسان الا ابن سعيه فمن كان اسعى كان بالمجد اجدرا

وقد قلنا في صدر هذه المقالة ان تجارة البلاد لا تكون راجحة الا اذا كانت في يد ابنائها فالقطر المصري مثلاً تبلغ قيمة تجارته في السنة نحو ثلاثين مليوناً من الجنيهات لكنه قلما يستفيد منها غير ثمن الحاصلات الاصلي واما الفضلة التجارية التي تزداد على ثمن المواد الاصلية وتبلغ بضعة ملايين من الجنيهات فتذهب الى التجار الاجانب وشركات السفن البخارية. قابل بين ذلك وبين وما فعلته اليابان تجد ان الفرق بينها وبيننا كالفرق بين الثريا والثرس وايضاحاً لذلك نقول

كانت بلاد يابان في سالف عهدها تتجر مع الصين وكوريا وكان فيها سفن كثيرة لهذه الغاية وكلها صغير من ذوات الشراع ثم جاءها بعض الرهبان من اوربا وحدثوا سبيجاً فيها فاضطرت ان تطردهم من بلادها وان تمنع بناء السفن الكبيرة التي تستطيع عبور البحر واقتصرت على بناء الزوارق الصغيرة التي لا تبعد عن الشاطئ. ووصلت اليها البواخر الانكليزية والروسية في غضون ذلك فلم تسمح لمن فيها في النزول اليها الى ان جاءها القومندور بري بالاسطول

الاميركي على ما تقدم واضطرها الى فتح بعض موانئها للسفن الاجنبية وكان ذلك سنة ١٨٥٤ ثم لما سارت في نهضتها الحديثة رأت ان لا بد لها من ان تقبض على زمام تجارتها والا افلتت من يدها فهبت الى بناء السفن الشراعية والبخارية ونشأت فيها شركة من اعظم شركات الدنيا الملاحية كان عندها في الصيف الماضي ٦٧ سفينة بخارية كبيرة محمولا ٢١٢٥٨٣ طنًا وكانت تبني خمس سفن اخرى محمول الواحدة منها ستة آلاف طن. وكل اعضاء هذه الشركة من اليابانيين وكل اموالها منهم فليس لاجنبي سهم فيها

وكان عدد السفن المبنية على النسق الاوربي سنة ١٨٧٧ نحو ٢٦٠ سفينة ومحمولا ٢٩٧ ١٣٣ طنًا فزاد في السنوات التالية على ما ترى في هذا الجدول

سنة	السفن البخارية	محمولا	السفن الشراعية	محمولا
١٨٩٦	٠٨٩٩	٢٣٣ ٩٤١ طنًا	٦٤٤	٤١٤٤٥ طنًا
١٨٩٧	١٠٣٢	٢٣٨ ٧٧٩ "	٧١٥	٤٨١٣٠ "
١٨٩٨	١١٣٠	٢٩٥ ٥٤٤ "	١٩١٤	١٥٩٩٤٨ "
١٨٩٩	١٢٢١	٣١٥ ١٦٨ "	٣٣٢٢	٢٦٩٠٣٢ "

والزيادة مضطردة ففي سنة ١٩٠٠ بلغ محمول السفن البخارية ٥١٧٤٠٧ اطنان ومحمول السفن الشراعية ٣٠٠٨٣٩ طنًا

وانظر ماذا فعلت حكومة اليابان اغراء لاهاليها بمجارة الاوربيين في هذا السبيل. ساعدت اهل الملاحة بكل واسطة ممكنة وقررت سنة ١٨٩٩ اعطاءهم مساعدة مالية عشر سنوات متوالية وكان المبلغ الذي قررت انفاقه سنة ١٩٠١ في سبيل مساعدة الملاحة ٦٩٠ الف جنيه وهو مقسوم هكذا نحو ٢٩ الف جنيه لمساعدة الملاحة المحلية و ٨٠ الف جنيه للمساعدة في انشاء شركات الملاحة و ٥٦٠ الف جنيه لمساعدة الشركات التي ترسل سفنها الى الجهات البعيدة كاوربا واميركا ونحو ٢٨ الف جنيه للمساعدة في بناء السفن

ورأس مال الشركة التي اشترنا اليها آفًا مليونان ومئتا الف جنيه. وخمس عشرة سفينة من سفنها محمول كل منها اكثر من ستة آلاف طن. وتوسع محمول كل منها اكثر من ثلاثة آلاف طن. وخط من سفنها يسير كل اسبوعين بين يوكاهاما وانفرس ولندن ويمر على الصين وملقا. وخط يسير من هونغ كونغ ويذهب الى غربي اميركا ثم يعود الى شنغاي واليابان. وخط ثالث يجري بين اليابان واستراليا عدا خطوط كثيرة بين اليابان والهند. والخدمة في هذه السفن مثل الخدمة في السفن الاوربية والاميركية وهي تسع ١٢١٨ راكبًا في الدرجة الاولى

و ٧١١ راكباً في الدرجة الثانية و ١٠٠١٦ راكباً في الدرجة الثالثة وأكثر رؤسائها حتى الآن من الاوربيين والاميركيين ولكن اليابانيين باذلون جهدهم لابدالهم برؤساء منهم حالما يتأهلون لذلك وقد ابدلوا بعضهم الآن

وفي بلاد يابان شركة ملاحية أخرى اصغر من هذه عندها ثلاث سفن بخارية كبيرة تجري بين هنغ كنغ وسان فرنسيسكو باميركا ويقال ان كثيرين من السياح الاميركيين يفضلونها على السفن الاميركية والانكليزية القديمة . وفيها شركة ثالثة لا تخرج سفنها من البحار الشرقية وميدان التجارة واسع امامها هنالك

وكانت السفن الكبيرة تنبى في اوربا اما الآن فصار اليابانيون يستطيعون بناء السفينة التي محمولها ستة آلاف طن ورغبتهم الحكومة في ذلك لانها جعلت مساعدتها للسفينة المبنية في بلادها مضاعف المساعدة التي تعطيها للسفينة المبنية في غيرها . ولا يزال جانب كبير من تجارة يابان يحمل بالسفن الاجنبية ولكن ما يحمل بالسفن اليابانية يزيد زيادة بالغة كل سنة وما يحمل بالسفن الاجنبية يزيد زيادة قليلة ففي سنة ١٨٩٥ كان عدد السفن البخارية التي دخلت مرفأ اليابان ١٨٦٣ ومحمولها ٨٣٩ ٢٧٤٩ طناً وكان عدد البواخر اليابانية منها ١٢٦ ومحمولها ٩٣٥٠٠ . وفي سنة ١٩٠٠ بلغ عدد السفن البخارية كلها ٥٣٣٠ ومحمولها ٩٦٠٦٧٥٢ طناً وكانت البواخر اليابانية منها ٢٦٤٥ ومحمولها ٣٣٩٣ ٦٥٧ طناً اي كان محمول البواخر اليابانية جزءاً من ثلاثين من محمول البواخر كلها فصار في خمس سنوات جزءاً من ثلاثة فكأنه ثمانية عشر اضعاف ما ثمة غيره . واذا استمرت البلاد على هذا النمو لا يضي عليها عشر سنوات اخرى حتى تصير أكثر تجارتها الخارجية في يد ابنائها وينتقل اليهم جانب كبير من تجارة اوربا واميركا ورب قائل يقول ترى هل زادت ثروة البلاد من هذا التوسع في المتاجرة ومما جرى مجراه من انشاء المعامل ونحوها . والجواب ان رأس مال بنوك يابان كان سنة ١٨٩٤ نحو ١٠ ملايين جنيه والودائع فيها كانت نحو ١٣ مليون جنيه فبلغ رأس مال بنوكها سنة ١٨٩٩ نحو ٢٩ مليون جنيه والودائع فيها ٧٥٠ مليون جنيه فمن اين اتى هذا المال الوافر الى بنوك اليابان ولا سيما الودائع فان بنوك انكلترا على غناها ليس فيها من الودائع سوى ٦٢٥ مليون جنيه . وسنعود الى موضوع المالية في فصل آخر

ولاهتمام اليابان ببناء السفن التجارية فائدة اخرى وهي ان ابناءها تدربوا فيها على ركوب البحار فسهل عليهم ركوب البوارج الحربية واستخدام سفنهم لتعبئة الجيوش فصارت اليابان بذلك دولة بحرية عظيمة تحالفها اعظم دول الارض البحرية



خرائب عَمَّان



خزنة فرعون في وادي موسى

خرائب الشام

مدينة عَمَّان ووادي موسى

مدينة عَمَّان قصبة بني عمون شرقي الاردن على نحو مرحلتين من القدس كان اسمها ربة بني عمون وكان لها شأن كبير في الزمن القديم. لما مات ناحاش ملكها وملك حانون ابنه ارسل النبي دودا ملك بني اسرائيل وفداً لتعزيتهم فلم يكرم الوفد بل اوجس منهم خيفة وحلق لحاهم وقص اذيالهم فاغناظ داود منه وحاربه سنتين الى ان فتح ربة عاصمته وقتل اهلها واخذ تاجه عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم

وعاد بنو عمون فشادوا قصور ربة واعادوا اسوارها فتنبأ عاموس النبي قائلاً اضرم نارا على سور ربة فتنا كل قصورها. ودخلها الفرس وهم نازلون الى مصر ثم وقعت في يد البطالسة فسماها بطليموس فيلادلفس فيلادلفيا واشتهرت بهذا الاسم زماناً طويلاً وكانت من المدن العشر شرقي الاردن. وحاصرها انطيوخس الكبير سنة ٢١٨ قبل الميلاد وكانت جنود بطليموس فيلوباتر فيها فججز عن فتحها الى ان دله واحد من الاسرى على مجرى الماء اليها فقطعه واضطرها الى التسليم

وعظم شأن هذه المدينة في عهد الرومانيين وبنوا فيها المباني الكثيرة التي لا تزال اطلالها الى الآن شاهدة بما كانت عليه من الفخامة والرونق وبما كان لاهلها من الثروة والجاه. وكل الاطلال يونانية او رومانية الاصل الا القلعة فانه يظن انها قديمة من قبل ايام الرومانيين ولعلها من عهد بني عمون

وتنصر اهل عَمَّان مع غيرهم من اهالي مدن الشام وصارت مدينتهم كرسي اسقف ولا تزال جدران كنيستها قائمة على جانب النهر (الزرقا) وفي حجارتها روابط من الحديد او النحاس لتوثيقها او لالصاق النقوش بها واعمدتها من الرخام الابيض من الطراز الايوني وهي مصروعة الآن على الثرى مكسرة ومبعثرة والى جانبها كنيسة اخرى كان لها برج او هو ما دنة اضيفت اليها لما حوّلت جامعاً ولا تزال جدرانها قائمة

وعلى مقربة من ذلك حصن له برجان كبيران مستديران بينهما سور من حجارة كبيرة منحوتة مقرنصة من قبل عهد الرومانيين وصلة على اربع اقواس الواحدة منها فوق الاخرى تصل بين الخندق وباب الحصن اما داخل الحصن فخراب الا الجدار الشرقي فانه لا يزال قائماً وفيه محاريب للثاثل ونقوش كورنثية وداخل الحصن اعمدة كبيرة كان سقفه مستنداً عليها

ويتلو الحصن هيكلكورنثي بديع الصنعة له في جانبه الغربي ثلاثة ابواب حول الاوسط منها نقوش من الطراز المصري . وعلى الجانب الآخر من النهر معمّد فيه احد عشر عموداً لا تزال ثمانية منها قائمة وتيجانها كورنثية

وهناك مشهدان الصغير منهما لا تزال جدرانهُ قائمة لكن داخلهُ خراب مملوء بالانقاض والاعمدة المكسرة والكبير من اكبر مشاهد سورية وانفمها واجماها قطر ساحته ٤٥ خطوة حولها المقاعد ٤٣ صفّاً الواحد فوق الاخر كاهلة متراكة

اما القلعة فعلى شاهق يعسر الصعود عليه وهي قسمان احدها ارفع من الآخر والقسم المرتفع مساحة سطحه عدة افدنة مغطاة بالانقاض وفيه صهريج كبير والى جنوبيه بناء مربع ظنه الماجور كندر من عهد الفرس (بني ساسان) او من عهد العرب . والى غربي القلعة كثير من الاعمدة الكبيرة باقية من آثار ما كان فيه من الابنية

وحول المدينة ابراج كثيرة كانت مدافن لعظائها مبنية بالحجر النخيت وفيها نواويس الموتى كنا نحسب ان ما وصلت اليه يد الدهر من التخريب والتدمير نقف عنده وانه اذا صلت حكومة البلاد تقام فيها ادارة تراقب آثارها القديمة وتهتم بحفظها فلا نفقد الاثر بعد العين . ولكننا كنا نطالع مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قبيل كتابة هذه السطور فعثرنا في الجزء الاخير منها على مقالة لاحدى السيدات الانكليزيات زارت بلاد الشام منذ عهد قريب ووصفت البلاد الواقعة شرقي الاردن وخرائب عمان في جملتها وهاك ترجمة ما قالته ” نزل الشراكسة في هذه البلاد منذ بضع عشرة سنة وبنوا قراهم على ضفتي نهر الزرقاء (اليبوق) ونواصره بعد ان هجر السكان هذه الانحاء منذ اكثر من الف سنة ودبت الحياة في مدينتي اليونان عمان وجرش وقامت اكواخ الطين بين اعمدة الشوارع القديمة وتحولت اروقة المشاهد الى مساكن ومخازن وشقّت المحاريث ساحات الاندية وصارت الحمامات حظائر وبيادر . ولا شارب لتلك الآثار عند الشراكسة فلا يحسبونها سوى محاجر يقتلعون الحجارة منها فنجده في جدران مبانيهم تيجان العمد الكورنثية وسوقها المضلعة وتجد امام اكواخهم مذابح المرمر المنقوش يستخدمونها موائد يا كلون عليها ونصب الرخام يدقون عليها الحبوب والكتابة اليونانية التي عليها تطمسها اقدام نسائهم واولادهم “

لما قرأنا هذه السطور صفقنا صفقة الاواه وقلنا لقد عجز الدهر عن ان يشجعنا بالاثربعد العين ولكن ما عجز عنه لم يعجز عنه بنو الانسان . افليس بين رجال دولتنا العلية من تأخذه الشفقة على آثار العمران والحمية على مجد الاوطان فينادي بصوت يسمعه اهل الخلل والعقد

ويمنع يد المخرب عن العبث بما بقي من هذه الاطلال . لقد بعث الينا احد نوابغ الاتراك بالصورة الفوتوغرافية المنشورة في صدر هذه المقالة وحبذا لو بعث الينا بصورة غيرها من تلك المدينة لعل منظرها يغري احداً بحفظها اذا وجد الى ذلك سبيلاً

ومن الصور الفوتوغرافية التي صورها ذلك النابغة العثماني وبعث بها الينا لشرحها له ولقراء المقتطف صورة خزنة فرعون في وادي موسى وهي التي كانت معروفة عند اليونان والرومان باسم بترأ ولعلها البترأ التي ذكرها ابن هشام في غزوة النبي لبني حيان حيث قال انه سلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريقه الى الشام ثم على مخيض ثم على البترأ . وقد وصفنا هذه المدينة واهلها الانباط الذين بنوها في المجلد العشرين من المقتطف ولا بأس باعادة شيء مما ذكرناه هناك وهو

”وكانت البترأ للادوميين ثم تغلب عليها النبط جاؤوها من العراق العربي وكانوا اهل حضارة وتجارة ولغتهم كالارامية وحروفها كالحروف الكوفية والمظنون ان الحرف الكوفي مشتق منها . وجاء في التواريخ القديمة ان انتيغونس احد قواد الاسكندر المكدوني الذي توفي سنة ٣٠١ قبل المسيح بعث حملتين على النبط في بترأ بعد ما استولى على سورية وفلسطين الاولى بقيادة قائد اسمه اثينيوس فهاجم بترأ سنة ٣١٢ قبل المسيح ورجلها غائبون عنها في سوق عمومية وغنم منها غنمة وافرة من المر واللبان وخمس مئة وزنة من الفضة ولما عاد اهلها وراوا ما حل بهم اقتنى اثره ثمانية آلاف منهم وبيئوه وقتلوا اكثر رجاله . والحملة الثانية بقيادة ابنه ديميتريوس وبلغ خبره النبط فامتنعوا عليه ولم ينلهم منه مكروه

”وذكر سترابو المؤرخ النبط في ايام اغسطس قيصر فقال ان عاصمتهم بترأ وقد سميت بذلك لان الصخور تحيط بها من كل ناحية وفيها مياه غزيرة لسقي بساكنيها واكثر الارض حولها قفار ولا سيما في ما يلي اليهودية وكان تجار الهند والعرب يأتونها ببضائعهم وينقلونها من هناك الى العريش وزادت هذه التجارة في ايام الرومان فاخذوا طريقاً لها من ايلة الى بترأ فدمشق وطريقاً اخرى من بترأ الى اورشليم وعسقلان وثغور الشام

”واتى الفيلسوف اثينادورس صديق سترابو الى بترأ واستوطنها مدة ورأى فيها كثيرين من الرومانيين وغيرهم من الغرباء وكانوا مستوطنين فيها

”وذكرها بلينيوس في القرن الاول المسيحي وقال ان النبط يسكنون مدينة اسمها بترأ في وادي اقل من ميلين اتساعاً يحيط بها جبال لا تسلك وفيها نهر جار

”وقال يوسفوس ان الاسكندر ملك اليهود حارب عبيد ملك العرب (سنة ٩٣ قبل المسيح) وكان عبيد قد اقام له كميناً في وعر عسر المسالك في الجولان فدخل الاسكندر وادياً عميقاً هو ورجاله ولم ينبج منه الا بشق الانفس

”ثم ذكر كيفية استيلاء ملوك النبط على دمشق فقال ان انطيوخس آخر ملوك السلوقيين قصد الحرث ملك بتراء فابعد الحرث من وجهه اولاً الى حيث تمكنه البلاد من مناجزته ثم انقلب عليه بغنة بعشرة آلاف فارس من فرسانه فكاد جنود انطيوخس يولون الادبار ورأى منهم ذلك فاسرع الى لم شعته وتشديد عزائمهم فاصابته ضربة قضت عليه وتفرق شمل رجاله بعده وانهمز الذين نجوا منهم الى قرية قانا فماتوا جوعاً . وكان اهالي دمشق يكرهون بطليموس فدعوا الحرث ملك العرب وملكوه عليهم

”وخضعت البترا للرومانيين في عهد تراجنس في اوائل القرن الثاني للمسيح وسماها سكانها باسم ادريانس اكراماً له وضربوا نقودهم باسمه . ثم ذكرت في القرن الرابع والخامس والسادس وحضر مطرانها جرمانوس في المجمع السلوقي سنة ٣٥٩ . ومطرانها ثيودورس في المجمع الاورشليمي سنة ٥٣٦ ولم يبق منها الآن الا شيء من مدافنها وهياكلها وكلها منحوتة في الصخر على جانبي الوادي وهي من اعجب ما صنعه الناس كما ترى في الصورة المدرجة في صدر هذه المقالة

والظاهر ان النبط كانوا يسمون بتراء سلعاً ومعناه الشق في الجبل لانها شق في جبل فحسب اليونان والرومان ان معناها الصخر وسموها بتراء . وابتدأ خرابها من حين قامت تدمر وعظم شأنها وانتقلت طريق التجار اليها . ولما تنصرت اهالي مصر وابطلوا تحنيط موتاهم زاد شأنها ضعفاً لانه كان لاهاليها تجارة واسعة بالموميا الذي كانوا يحملونه من بحيرة لوط الى القطر المصري والبناء المرسوم في صدر هذه المقالة ليس بناء بل هو نقش في صخر وردي جميل وقد ابدع النقاشون فيه ما شاؤوا فجاء كاجل المباني الرومانية . واكثر اثار هذه المدينة الباقية الى الآن منحوت في الصخر كما تقدم ويدل على ان اصحابه كانوا على جانب عظيم من استفعال العمران ورفاهة العيش ولا عجب في ذلك لان سكانها كانوا تجاراً والثروة والرفاهة ابنتا التجارة . وكانوا في اول امرهم يقتصرون على التجارة ولا يهتمون بالزراعة ثم لما ضعف شان تجارتهم عادوا الى الزراعة لكنهم لم يفلحوا فيها كثيراً ولا عبرة بكتاب الفلاحة النبطية الذي ينسب اليهم لانه ليس لهم بل هو موضوع على الراجح في نحو القرن العاشر ليليلاد

والظاهر ان هذه البقعة سميت وادي موسى حسب ان موسى الكليم شق الصخر فيها واجرى منه الماء لبني اسرائيل على ما جاء في التوراة

منزلة الشعر من التاريخ

﴿ ٤ ﴾

الاحتجاج بأن الشعر يؤخذ شاهداً تاريخياً

والشعر في الجاهلية كثير الروايات والاخبار يروي شاعر القبيلة ما عليها وما لها ويقص أخبار الملوك على غاية من السداد والتحقيق فمن ذلك ما جاء في شعر أمية بن أبي الصلت في رواية استخلاص سيف بن ذي يزن الحميري ملك آبائه التبابعة من الحبشان وهو قوله

لا تطلب النار إلا كبن ذي يزن اذ خيم البحر للاعداء احوالا

وافى هرقل وقد شالت نعامته فلم يجد عنده النصر الذي سالا^(١)

ثم انتفى نحو كسرى بعد عشرة من السفين يهين النفس والمالا^(٢)

حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم تحالمهم فوق متن الأرض اجبالا

بيض مرزبة غلب أساوره اسد تريت في الغيطان اشبالا^(٣)

فانظر يا رعاك الله كيف ذكر هذا الشاعر رحلة الملك سيف وما اعترضه من المتبطات وثباته على السعي عشر سنوات واستصراخه كسرى لما رأى اغفال امره عند قيصر ثم فوزه بالملك اخيراً . ولعمري يستطيع المؤرخ ان يجمع في اقل من هذه العبارات ما اورده هذا الشاعر في اياته . ولو اوزنا بعميار التعقل بين قول مؤرخ ما لهذه الحوادث وهذا الشاعر فيا ليت شعري من يكون الا ثبت رواية والاصدق عهدة . افاقل يحضرة الملك عن ذاك الملك نفسه انه عاذ بالقيصر هرقل فلم يفز بطائل ثم لجأ الى كسرى فامده بالرجال . ام ناقل عن رواقه لا مندوحة لنا مهما وثقنا بصحة روايتهم من ان نقر ان هذا الشاعر كان اقرب الى ذاك الملك منهم واعرف بحالته

وأثبنا الى القارىء اللبيب من ان اكون ممن يذهب الى احلال الشعراء مراتب الاولياء واعتبار كلامهم منزلاً لا اثر به لوى النفس ولا وجه للقول بأن فيه تحاملاً . ولكنني ابوى الشعراء مكانة اصدق المؤرخين وما من مؤرخ خلت اقواله من مغاير . ولدى المقايسة نجد ان كثيراً من المؤرخين اخبروا عن تدوين ما يشين أمتهما واما الشعراء فكثيراً ما اثبتوا ما عليهم

(١) شالت نعامته مات وسال مسهل سأل (٢) انتفى قصد (٣) المرزبة جمع مرزبان وهو رئيس الفرس والغيطان جمع غوط وهو المظمن الواسع من الأرض

ولو جرّ غضاضة علي اقدارهم لا يثارهم الصدق على الكذب . ولنا شواهد عديدة تؤيد ما قلناه
من ذلك قول ورفاء بن زهير العبسي

رأيتُ زهيراً تحت كلكل خالدٍ فاقبلت اسعى كالظليم ابادرُ ^(١)
فشئتُ يميني يوم اضربُ خالدًا وشئتُ ثناياها وشلُّ الخناصرُ ^(٢)
ويا ليتني من قبل ايام خالدٍ ويوم زهير لم تلدني قماضرُ ^(٣)
فطرُ خالد ان كنت تسطيع طيرة ولا تقعن الا وقلبك حاذرُ

فان قوله هذا اقرار بالفشل ومن روى عن نفسه الخذلان في مطلبه جدير بنا ان نصدِّقه
اذا روى الغلبة لخصمه . وكذلك يقول وعله بن عبد الله الجرمي

ولما سمعتُ الخيل تدعو مقاعساً تطلّع مني ثغرة النحر حائرُ
نجوتُ نجاءً ليس فيه وتيرة كأني عقاب دون تين كاسرُ

فهذا اقرار صريح بأنه فرّ من معمرة الهجاء وهو اكبر العيوب عند العرب ومع ذلك فإنه
لم ينكر التحافه به . وقد شهد عامر بن الطفيل لاعدائه بالمنعة حيث قال

نقول ابنة العمري مالك بعد ما اراك صحيحاً كالسليم المعذبِ
فقلتُ لها همي الذي تعرفينه من النار في حيي زبيد وأرحبِ
ان أغرُ زبيداً اغرُ قوماً اعزّةً مراكبهم في الحي خير مراكبِ
وان اغرُ حيي خشم فدمائهم شفاء وخير النار للتأوبِ

وقد شكّا عمرو بن معدي كرب من قومه حيث قال

فلو أن قومي انطقني رماحهم نطقْتُ ولكنَّ الرماح اجرتِ

واعترف فروة بن مسيك المرادي باندحار قومه واعندر لهم بقوله

فان نغلب فعلايون قدماً وان نغلب فغير مغلينا ^(٤)
وما ان طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا

وذكر زفر بن الحارث بن معاوية الكلابي بأس اعدائه واقراً بالغلبة لهم حيث قال

فلما لقينا عصبة تغلبية يقودون جرداً بالاعنة ضمراً
سقيناهم كاساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت اصبراً
وكنّا حسبنا كل بيضاء شحمة عشية لاقينا جذام وحميراً

(١) الكلكل الصدر او ما بين الترقوتين والظلم الذكر من النعام (٢) شلت الخ دعاء عليها ان تبس

(٣) قماضر اسم امه (٤) المغلب المغلوب المرة بعد الاخرى

وهذا يخالف ما ورد في شعر النابغة الجعدي وقد قال

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدائه ان تكسرا^(١)
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكننا كئنا على الموت اصبرا
ومما يروى للعباس بن مرداس السلي ويعد من باب المنصفات قوله

سمونا لهم سبعا وعشرين ليلة نجوب من الاعراض قفراً بسابسا
فلم أر مثل الحي حياً مصباً ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
أكر واحمي للحقيقة منهم واضرب منا بالسيوف القوانسا^(٢)

إذا ما شددنا شدة نصبوا لنا صدور المذاكي والرماح المداعسا^(٣)
وكنت أمام القوم أول ضارب وطاعنت اذ كان الطعان تخالسا^(٤)

ولومات منهم من جرحنا لا صبحت ضباع باكفاف الاراك عرائسا
فان ثقتلوا منا كماً فاننا أبانا به قتلى تذل المعاطسا

قتلنا به في ملتقى القوم خمسة ومن بعده زدنا مع القوم سادسا
وكنّا اذا ما الحرب شبت نشبها ونضرب فيها الابلج المتقاعسا^(٥)

وقد بلغ هذا القول الى عمرو بن معدي كرب خصم القائل فما انكره واجاب
اعباس لو كانت شياراً جيانا بتثليث ما ناصبت بعدي الاحامسا^(٦)

لدسناكم بالخيل من كل جانب كما داس طباخ القدور الكرادسا^(٧)
وقد نجد هذا الانصاف في شعر المهلهل عدي بن ربيعة التغلي حيث يقول

فانا غدوة وبني ايننا يجنب عني رجا مدير
وما نجد في اقوال هؤلاء الشعراء من الاقرار بشجاعة اعدائهم وانصافهم لا نراه في اسفار

المؤرخين من يونان ورومان فان اولئك المؤرخين يحيفون على اخصامهم كل الحيف ويرمونهم
بكل داهية ناد . فالاستشهاد باقوال الشعراء حيث وجد نص قامت الدلائل على انه مرسل
عن قوس خلو الغرض او امكن استخراج ذلك المضاد من القرائن المقبولة عقلاً يكون اولى من

(١) النبع شجر نتخذ منه القسي (٢) اكر اي لا اكر . واضرب اي ولا اضرب والقوانس جمع
قوس وهو اعلى الراس (٣) المداعس جمع مدعاس وهو الرمح الذي لا ينثني (٤) من خالسه اي اعجله
(٥) الابلج المشرق وهو يريد الرئيس والمتقاعس المتأخر ويمكنا ان نفهم من هذا البيت ان قادة الحرب
عند العرب كانوا يقضون في المدخرة حين اشتباك الحرب (٦) شياراً اي سائناً قوية
(٧) الكردوس كل ملتقى عظيم كذا جاء في خزانه الادب للبغدادى وفي المعاجم للكردوس معنى آخر وهو
كل عظم عظمت غضبه اي شطط واخذ ما عليه والطباخ يغلب ان تكون العظام ملفاة تحت قدميه

الوثوق بقول مؤرخ متأخر الزمان مهما كان ثقة في روايته وخبيراً بجمل طلاسماً الآثار الطامسة
وبهذا القدر كفاية من إيراد النتائج المستخلصة من أقوال الشعراء على الطريقة الأولى
وهي طريقة الجمع وسنورد إيجاًاً أخرى على الطريقة الثانية أي طريقة التنسيق
أمين ظاهر خير الله

عروسة النيل

الفصل الحادي والثلاثون

واشقاء المحبين انهم لا يكادون يذوقون طعم الهناء حتى تفاجئهم التعاسة من حيث
لا يدرون فقد كان اوريون يستسهل الموت في سبيل مرضاة محبوبته ويتجنى لو تعرض له فرصة
تمكنه من ابداء شهامته ومروءته وشدة اخلاصه في حبها وهو يحسب ان السعادة بسمت له بعد
عبوسها واشرق كوكب سعادته بعد غروبه لكنه لم يكده يخرج من بستان روفينس حتى اسودَّ
الضياء في عينيه ورأى خيبة الامل ماثلة امامه فاستغرب هذا الانقلاب وعجب لبولين كيف
فسحت مجالاً في قلبها للرب ففرَّق ثالث بينهما كما فعلت الرئيسة تلك الراهبة التي ناصبت
العداوة يوم عقد النية على المجازفة بحياته وماله سعيّاً لانتقاذها وانتقاذ من في ديارها فقابلت
معروفه واحسانه بالطعن فيه وتحويل قلب بولين عنه فكاد يصيبه مسٌّ من الجنون ولولا وعده
لروفينس بان يشاركه في سفره لاقلع عن عزمه في تلك الساعة ولما بلغ البيت اسرع الى غرفته
واستلقى على مقعد وهو يضرب اخماساً لاسداس وتمثلت له بولين باكية شاكية مترددة فاستاء
لتردها وطفق يفكر في وسيلة ترجعها عن غيها ولما اعياء الامر نهض ومشى الى غرفتها فرأى
قيثارها مسندة الى الجدار فتناولها ونقر عليها لحناً فلم ترقه رنتها فطرحها من يده واخذ قيثاره
فعزف بها عزفاً دلاً على ما كان يجيش في صدره من الحب والغضب والقهر وكان نقره شديداً
لما هاجه من واقعه مع حبيبته فلم ينته من الدور حتى انكسر عامود القيثاره وحينئذ طلع عليه
كاتبه فقال

— اتى رسول بهذا اللوح وفيه ان يوستينوس وقرينته في منف ويطلبان اليك ان توافيهما
الى الفندق فلهما معك حديث ذو شأن

— ايوستينوس في منف وافرحناه فقد صار في طاقتي اذا انت احبني بهم واكرمهم
فاكافئهم على بعض فضلهم وسابق جميلهم فرهم يعدوا المركبة وقل لسبك ان يهيء غرف الضيوف

لنزولهم وليعطهم غرفتي هذه ايضاً فهذه بشرى لم اكن لاحلم بها ولا تبطي في اعداد البيت فانا ذاهب اليهم . قال هذا واصلي ثيابه واسرع الى غرفة امه فانبأها بقدم اصدقائه فقالت اهلاً وسهلاً بهم فلينزلوا هنا على الرحب والسعة فاننا لا ننسى ما لهم عليك من الايادي البيضاء ايام كنت في القسطنطينية ومن الواجب عليك بعد هذا تأجيل سفرك فتبقى في منف لتقوم بنفسك على اكرامهم والعناية بهم فبلغهم سلامي واعذر اليهم عن احتجابي فانا كما ترى لا استطيع لقاء الناس . وبعد قليل ركب اوريون مركبته ولم يكد يصل الى الفندق حتى رآه بوستينوس من النافذة فلوّح منديلاً كان في يده ثم دار الى زوجته فقال جاء صديقنا

فابتهجت المرأة وكان الى جانبها فتاة بارعة في الجمال فقالت لها

— اتفضلين لقاءه هنا ام تحببناين حتى نطلعه على قدموك

— اري ثاني الرايين افضلهما

— اسرعي اذا فاني اسمع وقع اقدمه

وكان بوستينوس وزوجته خلّقا ليقيضا الحياة معاً لما بينهما من التشابه في الاخلاق والصفات وكان كلاهما على سعة من الثروة والجاه يعصمهما غناها ورفعة مقامهما عن الاهتمام بالمال والتقيد بالعادات والازياء المتبعة في ذلك العصر وكانا مشهورين بالكرم وحب الضيافة فلا يكاد قصرهما يخلو من الضيوف والاصدقاء لا سيما اولئك الذين الفوا في بيتهما من المجال حرية القول والفكر ما لم يكن معروفاً لذلك العهد في بيوت العاصمة ولم تكن مارتينا من البارعات في الجمال لكن لطفا ورقتها كانا اشد وقعا من الجمال فحبباها الى جميع من عرفها وكانت تميل الى عشرة الشبان والشابات لما تراه فيهم من كرم الاخلاق وعدم الاكتراث لامور العالم فلما تزلت دورا زوجة ابن اخيها كفلتها وضممتها الى بيتها ولقيها اوريون هناك فتعاشقا حتى اشتهر امرها في القسطنطينية وكان لها ابن اخ غير المتوفى ضابط في الجيش الامبراطوري فلما نشبت الحرب بين الروم والعرب شهد معركة من المعارك فسقط فيها قتيلاً ولم يعرف شيء من امره فاخذ ييخان وينتبان بمعونة المقوقس وابنه علمها يعثران على جثته فيدفنانها بالاكرام اللائق فلما انه لا يزال حياً يرزق وانه اسير في بلاد العرب ثم اتاهما كتاب من الضابط نفسه يصف فيه ما يلاقيه من العناء ويتوسل اليهما ان يسعيا في انقاذه بواسطة عمرو بن العاص فاسرعا في الحجي الى مصر ورافقتهم دورا الارملة يدفعها دافع الشوق الى رؤية اوريون وكانت زوجة بوستينوس قد نصحت اوريون ان يتزوج دورا حباً منها بالاثنتين فاعذر بقوله ان اباه يعقوبي فلا يقبل بزواجه من ملكية فسكتت ولم تجر جواباً لكنها قالت في نفسها اذا رأى المقوقس

دورا وشاهد جمالها وعرف محاسنها وخبر لطفها الساحر وسمع صوتها الرخيم تمنها عروساً لابن
 فانها كانت من اجمل غادات القسطنطينية بقامة كالرمح وعينين ماؤها يذيب الصخر وصوت
 يسبي القلوب ورقة ولطف وكمال هذا فضلاً عن رفعة حسيها وفرة غناها مما جعلها قبله
 الناظرين فلم يبق بين شبان العاصمة من لم يحم حولها فلما عوّل يوستينوس وزوجته على السفر
 الى مصر رأت هذه ان الفرصة حانت لاتمام مرغوبها فاستصعبت دورا معها ولما بلغهم نعي
 المقوقس في الاسكندرية اتخذته بشير النجاح وحسبت انه لم يبق ثمت مانع يحول دون اقترانها
 لما دخل اوريون عليهما حياهما تحية الصديق المشوق فلقياه بالترحاب وضمه يوستينوس
 اليه فقبله وفعلت زوجته كذلك ثم قالت بربك كيف استطاع اسلافك العظام القيام بافعالهم
 المحمّدة في هذا الحرّ الشديد فاني اراني اذوب كما يذوب السمن ثم دعت خادماً فامرته بان يأتي
 بكرسي وشيء من الشراب المبرّد وجلس الثلاثة يتحدّثون فاطاعة يوستينوس على علة مجيئهم
 وطلب اليه ان يسهل له لقاء عمرو وان يكلّمه في شأن الاسير فقال اوريون حباً وكرامة ولكن
 عمراً سيفادر الفسطاط بعد يومين ذاهباً الى المدينة وانا مسافر الليلة فوقع كلامه هذا وقعاً سيئاً
 في نفسيهما وبدت امارات الكدر على وجهيهما فرأى اوريون من اللياقة اطلاعهما على علة سفره
 والداعي اليه فلما بسط الكلام سفهاً رآه وقال يوستينوس اخطات خطأ كبيراً فانت زعيم
 اهل منف واكبر اهل مصر فاذا قت بهذا العمل تداعت اركان نفوذك وسلطتك عليهم وكان
 الاولى بك مصادقة البطرك لا مغاضبته فتخفنان باتحاد سعيكما وطأة حكم الاجنبي على اهل
 بلادكما فانصحك ان تقلع عن غيك لا خوفاً على حياتك ولا كرهاً بالراهبات بل لما ذكرت واذا
 تأملت كلامي رأيت وجه الصواب فيه. فعرض اوريون عليه ان يعبر النيل ساعئاً فيذهب الى
 عمرو ويطلب معونته فارتاح الشيخ الى اقتراحه واسرع الاثنان وركبا مركبة اوريون فلما بلغا
 الفسطاط قيل لهما ان عمراً خرج يستعرض العسكر فلا يعود الا في الليل وقد يبطي قدمه
 الى الصباح فعادا ادراجهما وفي اثناء غيابها جاء خدم القصر فنقلوا امثلة الضيوف اليه واتوا
 بالمرکبات فركبتها مارتينا ودورا والحشم وسرت مارتينا بحسن موقع القصر وبهاء غرفه وما فيها
 من نفيس الاثاث والتحف واكبرت اتساع البستان وكثرة الازهار والرياحين فيه فلما عاد
 زوجها واوريون من الفسطاط وحدتاها بخيبتهم خيم الحزن في قلبها فقالت لا وريون انما اخفأك
 بقضاء الله فليس سفرك من مشيئته فالاولى بك البقاء معنا فتسعدنا في ادراك غاية نبيلة محموده
 فنخلص ذلك التعيس من ربقة العبودية. فاصر على عزمه فقالت وهب ان عندي ما يقيقك
 فاجاب لا شيء يحول دون ذهابي قالت سنرى في ذلك قريباً ثم دارت الى الشباك فاذا السماء

بلون الدم والشمس تكاد توارى وراء الاهرام فصاحت ما ابهى هذا الغروب وما اجملهُ فكان مصر والاهرام شعلة من النار فتعال يا اوريون وانظر ما اعدت لك ولنبدأ بهذه الحلية قالت ذلك ودفعت اليه سواراً من صنع اليونان القدماء مرصعاً بالحجارة الكريمة ومنقوشاً نقشاً بديعاً ولما حاول ان يشكرها قاطعتهُ وقالت هلم وانظر البقية ثم فتحت الباب المؤدي الى غرفة باولين فاطلّت رأسها وعادت اليه فدعته الى الدخول قائلة هناك تجد هديتي الاخرى فتعجب اوريون لكلامها ولكنه لم يطق عبثه الباب حتى رأى دورا واقفة عند النافذة والابتهاج ينبعث من عينيها وقد طوت ذراعيها على صدرها كأنها في وقفها قديسة تنظر آية من آيات السماء او فرحاً من افراح النعيم فلما وقعت عين اوريون عليها امتنع وانتفض واعتراه الدهول فحمد مكانه ولحظت مارتينا ذلك منه فعادت الى زوجها وقالت لقد جاء اللقاء على ما اشتهي فانه لما رآها وقف كمن اصابته صاعقة واذا صدق حدسي فسنشهد عرساً علي ضفاف النيل

— هنا حما الله فذاك من احب الامور اليّ على اني اتخى قبل كل شيء ان نقنعي هذا الفتى بضرورة افلاعه عن جنونه ففي عمله هذا هلاكه ولم يفتني ما لقيه من الخفاوة اليوم في دار امير العرب وعندي ان ليس في مصر من يكفل لنا مساعدة عمرو سواء فلا بد من بقائه — او عندك ريب في ذلك الآن فقد رأى دورا فلا شيء يزحزحه بعد من مكانه ثم شرعت تكلم في شؤون مختلفة حتى اذا ما فرغا طلب اليها ان تذهب اليهما فصعدت باشارته ولما رأت دورا اوريون لم تستطع الوقوف فانطرحت عليه واخذت تبثه شوقها وتصف ما قاسته من جراء بعهده حتى كاد يغمى عليها فطنق يلاطفها ويحاملها ويرحب بها فسألته عن سفره وتوسلت اليه ان لا يركب متن الشطط فيغرر بنفسه ويلقي بها في التهلكة الى ان قالت اجب سؤالي وابق الليلة في منف وسافر غداً اذا شئت واذا اردت قتلي بعد ذلك فافعل ايكون لقاؤنا وداعاً بعد ان بكيت فراقك وكدت اذوب شوقاً اليك اتذهب في مهمة قديكون بها ذهاب حياتك فاموت حزناً واسفاً فلا تذهب ان ذهابك يقتلني وكانت تكلم وعيناها تستغيثان به فاشعلتا ما خمد في قلبه من نار حبها فقال في نفسه ومن لا يحب امرأة كهذه جمعت الحسن والظرف لا تبغي من حبيبها سوى حبه الخالص غير حذرة او خائفة فقد احتملت عار الانتقاد والتهكم فاصغت الى صوت قلبها مع علمها بانى هجرتها وأبيت ان اتزوجها. فخلبت له في تلك الساعة كما سحرته عيناها لاول عهدهما باللقاء اما هي فعادت تتوسل اليه وتحبب اليه البقاء حتى فرغت جعبتها فقال سارى ما اذا كان التخلص من وعدي في يدي ولما قال ذلك مثلت امامه صورة باولين وسمع هاتفاً يقول له ان باولين المرأة الكاملة لا هذه الفتاة الضعيفة

القلب والارادة فتنبه وافاق من سكره وندم على ما بدا منه من الضعف والتسليم الى هواه
فسل يده من يدها وجلس يحدثها وهي تطالبه بالبقاء وتذكره بما يتوجب عليه من اسعاف
عمرها وانقاذ الضابط حتى الآن قلبه فوعدها خيراً فصفت بيديها فرحاً وخرجت الى حيث
عمرها وزوجته فقالت سيبقى اوريون فلن يسافر الليلة فسروا سروراً عظيماً ووقف الاربعة
يتكلمون وفيما هم كذلك دخلت كاترينا ومرضعها آيتين لتزورا انويس بعد سقطته فلما رأت
اوريون ودورا وشاهدت جمال هذه اعترتها الدهشة وقالت في نفسها اترى هذه جيبته التي
اشار اليها او هي احدهن فيخدعها كما خدعني. ورأتها دورا فدارت الى اوريون وقالت أأنتك
ام ابنة اخيك فدعا كاترينا وعرفها بضيوفه حتى اذا ما ذهبت قالت مارتينا انها حسنة الصورة
خفيفة الروح كأنها عصفور فاجاب اوريون

— وهي اغني بنات منف . فاطرقت دورا ولم يفث ذلك اوريون فقال وكانت امي ترغب
في زواجنا ولكننا مختلفا الازواق وفي قامتيننا فرق عظيم. ثم استاذنهم واسرع الى نيلس فاطلعه
على ما ارتأه من البقاء وفصل له الاسباب التي حملته على تغيير خطته وكلفه ان يذهب الى
روفينس فيعتذر اليه بالنيابة عنه فرقص الخازن طرباً وطوقه بذراعيه وقبله فرحاً وعاد اوريون
الى ضيوفه فتعشوا وسهروا الى ما بعد نصف الليل وفي الصباح ذهب يوستينوس واوريون الى
الفسطاط فقبل لها ان عمرًا سارتوا من عين شمس الى الاسكندرية فيغادرها الى المدينة
فقال يوستينوس لم يبق لنا سوى لحاقه فقال اوريون وانا رفيقك ولما عادا الى منف حاولت
دورا ان تثبّط عزمه فابى الاصغاء الى كلامها ورأى ان الفرار من قبضة هذه الفتاة اضمن
لسعادته وفي الغد كتب كتاباً الى باولين وصف فيه حبه لها وشدة غرامه وعزم عزمًا أكيداً
على هجر دورا والابتعاد عن اشراكها ولما اعد الخدم الخيل والمركبات ركب يوستينوس وخرجت
مارتينا ودورا لوداعهما ولما عادتا لقيتا كاترينا في البيت فدعتهما لزيارتهما اما هذه فابت
واسرعت في الخروج وذلك ان انويس اطلعها على ما سمعه من حديث اوريون ونيلس في شأن
فرار الراهبات فهرعت الى مركبتها فركبتها وذهبت الى المطران فحدثته بمحدث انويس وهذا
اذ سمع الخبر اخذ الغيظ منه كل مأخذ فعبر النهر الى الفسطاط ليطلب من عمرو القبض على
الراهبات ومنقذهن ولما انبى بغيا به لقي عبادة فحدثه بما كان

الفصل الثاني والثلاثون

ولم يبطئ نيلس في انقاذ رغائب سيده فذهب الى روفينس ونقل اليه كلام اوريون
وبسط عذره فلم يسع الشيخ الا الاعتراف بفضل ابن المقوقس الى ان قال وقد اجاد في اعداد

اسباب الفرار اجادة تغنيانا عن استصحابه وتعريضه للمهلك وجميع ما فعله بدل على شهادته وكرم عنصره وعذره في التخلف واضح فخدمة اصدقائه واجب لا يستطيع التخلص منه ولما سمعت باولين الخبر حزنت لكنها عادت فسرّت علماً منها بان حبيبها نجا من خطر عظيم وكانت قد سمعته يصف صداقة يوستينوس واهل بيته له وما افرغوا عليه من الرعاية والاكرام ايام كان في القسطنطينية فقالت في نفسها لقد احسن في انتهاز الفرصة لمكافأتهما على سابق معروفهما وغداً يأتي فأراه

وفي تلك الليلة قبل طلوع القمر خرجت الراهبات من ديرهن متكررات بزي الفلاحات وركبن السفينة واحدة فواحدة وتبعتهن الرئيسة ثم جاء روفينس فتعلقت به زوجته وابنته فقبلهما وقال تشددا واقتديا بهذه الفتاة الباسلة فانا مرعي بعين السلامة ما دامت عين الحب لا تنعس ولا تنام فالوداع يا خير النساء فاذا ادركني اجلي في الطريق فاعلمي ان زوجك الغبي جلب الموت على نفسه في سبيل انقاذ خمس وعشرين نفساً بريئة من العذاب والنفي فبكّت زوجته وناحت وقالت له خذ البستاني معك فقد تحتاج اليه وقال البستاني خذني معك يا مولاي اذ لا فائدة من بقائي هنا فالازهار تذبل رغماً عني لقلة الماء وشدة الحر فقال له روفينس اسرع وهات فراشك ثم دفع النوتية السفينة الى وسط النهر حتى غابت عن عيون النسوة وبعد قليل قرعت اجراس الدير وكانت القارعات باولين وهيلانة عملاً باقتراح الرئيسة لتوها الناس بان اهل الدير فيه وسكنت الريح فقبض الملاحون على مجاذيفهم وطفقوا يجذفون الى ان غابت منف عن عيونهم لكنهم لم يكادوا يتجاوزون الفسطاط حتى جنحت السفينة فاضطروا الى النزول على البر ومعالجتها الى ان طفت ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا عند شق الفجر الى ليتوبوليس حيث يتفرع النهر الى شعبتيه وانتشر ضباب كثيف حجب سفينتهم فلم يرها الحفظة المكلفون بقبض الرسم من السفن وعند طلوع الشمس كانوا في الفرع الدمياطي وقد تجددت قواهم بما بدا لهم من تبشير النجاح ناسيين ذلك الى شفاعة الراهبات وكان ماء النهر قليلاً على غير المعتاد في ذلك الفصل فلا تقع اشعة الشمس الا على حقول عارية من الخضرة وضفاف يست فصار كالحجر وتردّت الحفلاء ثوباً من الصفرة عليه طبقة خثينة من الغبار ولم تكن الراهبات قد اعندن السفر ومشقاته فذقن صنوف العذاب الوائناً وغلب عليهن العطش الشديد ولم يرو الماء غليلهن لشدة الحر فلما غابت الشمس وانخفض جأش الحرارة هبّ النسيم البليل فانعشهن وردّ اليهن ارواحهن بعد ان خن الموت اقرب اليهن من جبل الوريد فلما ازف وقت العشاء جلسن معاً وتعشين بعد ان لم يتناولن طعاماً النهار بطوله فلما اكتفين اخذن يتساءلن عما اذا كانت نجاتهن في حكم المقرر فقالت

الواحدة اذا تبعنا الجند فانهم يأتون على خيولهم وقالت اخرى بل يسرون مشاة فقالت الثالثة وما يمنعهم عن لحاقنا في سفينة يدفعها عدد كبير من الرجال الاشداء وما زلن كذلك حتى طلع القمر وهذا الليل فساد السكون في السفينة واستحوذ عليهن الخوف فشرعت احداهن تترنم فاقتدت بها الباقيات وصحت النوتية يصغون الى تلك الاصوات الرخيمة وبعد نصف الليل نعنن وغمن ولم يظن احد الى الضفاف لاهتمام الربان والملاحين في تسيير السفينة فلا تجنح لكن الربان سمع حقيقاً في النبات والانجم استمر الليل بطوله فلما بدا ذنب السرحان حانت منه نظرة الى الشاطئ الشرقي فرأى ما راعه فصاح بمن معه وقال ما هذا الذي اراه فدنا منه البستاني وقال لقد رأيتهم وسمعت صهيل خيولهم فانظر ثم اشار يده الى جواد بين الادغال وقال لقد ادركونا فامر الربان بالسكوت وقال اذهب ونبه روفينس والملاحين وقل لهم ان يدخلوا الراهبات الى مخدع السفينة ثم اخذ يحدث اخاه فقال لاجسر في هذه الانحاء والنهر كما ترى عريض فمن اراد الدنو منا فانما يفعل ساعياً ولا اخالهم يحسرون على ذلك

اثمرت البذور التي بذرتها كاترينا فلما اطلع المطران عبادة على امر الفرار اسرع هذا فارسل كوكبة من الفرسان لتقبض على الراهبات والنوتية وغيرهم ممن في السفينة وتعود بالجميع الى منف فلما بلغ الفرسان لثيو بوليس سألوا الحفظة عن السفينة فلم يستطع هؤلاء تعيين الفرع الذي سارت فيه فانقسموا فريقين في كل منهما اثنا عشر فارساً وسار الفريق الواحد حذاء فرع دمياط واتبع الاخر فرع رشيد فلما ادرك الفريق الاول السفينة نجو نصف الليل امرهم قائدهم بالبقاء على الشاطئ الى الصباح ففعلوا ولما طلعت الشمس صاح بالربان وقال امرني الامير ان اعود بهذه السفينة ومن فيها الى منف نخشي الربان ان يعصي الامر لعلمه بما وراء ذلك من العواقب الوخيمة وبدت امارات الخوف على وجهه فالتفت الى من حوله وقال ارى المقاومة ضرباً من الحماقة فالتسليم خير لنا فابي روفينس وقال للامبوس صانع السفن لا تكن كيهودا فانت مقتول سلمت او قاومت فاذا اطعت امرهم سفكت دمك ففرع الربان صدره وتنف شعره وبكى وقال انا مكلف بمعاش اهل بيتي فاذا عصيتهم حجزوا مالي واتزعوا مني بيتي وبستاني ووقعت في قبضة ايديهم بعد نجاة الراهبات فدعوا الرئيسة واطلعوها على جلية الامر فقالت لا تخش باساً فانا اعيشك من ثمن بيتك وبستانك فاذا انجونا حملناك واهل بيتك من دمياط على سفينتنا وسرنا بك الى بلاد الروم حيث يعجز العرب عن الاقتصاص منك فلما سمع كلامها سكن روعه واحس ان حملاً ثقيلاً سقط عن كتفيه فاشار الى اخيه بوجوب الدفاع ثم دار الى حيث كان الفارس العربي وصاح به اذا اردت القبض علينا فتعال بنفسك الى السفينة وافعل ما تشاء ففعل صبر

هذا وصاح برفاقه فاندفعوا بجيولهم الى النهر لكنهم لم يكادوا ينزلون فيه حتى غاصت الخيل في الوحل ولم تستطع الخطو فامرهم بالعودة وانقلب حصاراً براكبه فغاص كلاهما فترجل الباقر وجلسوا يتشاورون فيما بينهم والنوتية يرقبونهم وبعد ساعة انقسم العرب قسمين فانفرد ستة منهم القائد وربطوا خيولهم ثم استل كل واحد منهم فأسه من منطقته واخذ يعملها في جذع شجرة من اشجار النخيل وركب الخمسة الباقر ونقدموا على نية ان يخوضوا النهر شمالي السفينة فيسيروا الى الغرب ويهاجموها منه ويركب الستة الاول اشجار النخيل فيستعينوا بها على عبور النهر والوصول اليها من الشرق وكانت الضفة الغربية حيث السفينة مكسوة بالاعشاب والانجم اليابسة فلما دار الفرسان الخمسة نحوها هبت ريح من الشرق فخطر للربان ان يحرق الاعشاب حتى اذا ما اندلع لسان اللهب والتهمت النار ذلك اليابس علق بالفرسان فاكلتهم اولقوا بانفسهم في النهر فيغوصوا في الوحل لجهلهم السباحة فامر نوتياً بتسليق الصاري ومراقبتهم منه ففعل حتى اذا ما رآهم عبروا النهر وتغلغلوا في الانجم انبأ الربان وهذا امر بعض الملاحين فاسرعوا واحرقوا المشيم ولم يكن الا كلج البصر حتى اكلت النار ما حولها وانبعث منها دخان سد منافس الجو ورأى الفرسان الستة في الضفة الشرقية النار فامتلاً واغيطاً وحقدًا فشدوا جذوع النخيل والقوها في النهر ثم عمدوا اليها فتعلق كل واحد منهم باليد الواحدة وحمل درعه باليد الاخرى ووضعوا قسيهم وكنائاتهم على الجذوع فتسلح النوتية واستعدوا للقائهم وارسل الربان احد رجاله الى العدو الشرقية وقال له اذهب واذبح خيولهم جميعاً حتى لا يفلت منهم من ينقل الخبر ولما بلغ الجند السفينة امسك احدهم بعتبة نافذتها وصعد آخر على كتفه فوثب الى ظهرها وطعن اول نوتي صادفه فخر صريعاً وتبعه رفيقه فشهرها حساميها وضرب احدها الربان فالحاه جريحاً ولم يكن الا كلج البصر حتى سقطت خشبة من الصاري على رأس زعيم الجند فسحقته وانتشب القتال بين النوتية والجند وفيما روفينس مهتم بتفسيدهم جراح الربان عاجله احدهم بضربة سيف فجرحه جرحاً بالغا وسال دمه وبعد ساعة انجلت الموقعة عن ثمانية قتلى من النوتية وستة من العرب غير من جرح من اولئك ورأى النوتي من اعلى الصاري الفرسان الخمسة يلقون بانفسهم في الماء فغاصوا في الوحل وغابوا عن بصره وذبح الآخر جميع الخيل فلم يفلت من اللاحقين احد وحيثئذ خرجت الراهبات للعناية بالجرحى ونقل النوتية جثث القتلى الى البر فدفنوها واهتمت الرئيسة اهتماماً شديداً بروفينس فظالمته بمظلتها وجلست بجانبه تضمد جرحه فلما رأى الربان قال

— انا اب عائلة مثلك ولي زوجة وابنة تركتهما في منف فاني لي بمن يحملني اليهما

ناولوني شربة ماء فاني اكاد اموت عطشاً فناولتهُ الرئيسة شيئاً من الخمر فشرب وشكرها فقالت له هل لك وصية توصيها فقال نعم فيلانة لا يهنا لها عيش الا في الدير فوصيتي لها ان تبقى مع امها فتونس وحدتها وتعزيها في حزنها آه انني اشعر ببرد شديد وقد اصابني الجرح في كتفي ولكن الالم في رأسي فايثوني بقلم وقرطاس ومتى فرغت من الكتابة فاختموا الرسالة وليأخذها البستاني الى فيلبس الطبيب فناولوه فاخذ يكتب ويداه ترتجفان من شدة الالم حتى اذا ما انتهى دفع القرطاس الى الرئيسة وقال اختيه وسلميه الى البستاني وهو يدفعه الى الطبيب حينئذ انغمي عليه فرشوا ماء على وجهه فافاق وقال رأيت زوجتي وهيلانة في الحلم فوبخاني على ما فعلت ولكنه الواجب وعلى المرء ان يقوم بعمل ما قبل مفارقة هذه الدنيا الباطلة . ولم يزل يردد هذا الكلام ونحوه حتى انعقد لسانه وبعد الظهر فاضت روحه فجزع عليه البستاني جزعاً شديداً ولما بلغوا دمياط انفصل عنهم عائداً الى منف وكانت السفينة التي استأجرها اوريون معدةً فركبها الراهبات واستصحبن معهن الربان الجريح واهل بيته واخاه ومن بقي من النوتية وفي اليوم الذي مات فيه روفينس جاء مطران منف الى دير الراهبات يطلب تسليمه اليه باسم البطريك وفي الغد سافر الى الصعيد ليرفع تقريره الى رئيسه

الفصل الثالث والثلاثون

ظل ماء النيل يتناقص والحر يشتد حتى ضاقت الارض على رحبها باهل منف واشتد بهم اليأس اذ علموا من الرسائل التي جاء بها حمام الزاجل من ايثوپيا ان النيل لم يرتفع ماؤه في تلك الاصقاع وكثرت الاقذار في النهر والترع فاخضر لونهما وامتلأت بالنباتات والحيوانات فضاقت السكان ذرعاً بماء الشرب ولما كان الفقراء منهم لا يعنون برشيمه تفشي فيهم وباء جارف لم يسمع بمثله في مصر وزاد في خوفهم ظهور نجم ذو ذنب في القبة الزرقاء فانهم عزوا اليه ما كان من شدة الحر وتأخر الفيضان وتفشي الباء وكان في مقدمة القائلين بهذا القول والمنادين به ابولون صديق فيلبس وكان منظر البلاد يشف عماً اصابها ونزل باهلها من المصايب فيست الاشجار وفسدت الاثمار وانتشر الغبار على البيوت وفي الطرق واصبحت المساكن افراة لا تطاق لشدة الحرارة ومات السمك في النهر فقذفه الماء على الشاطئ فانتن وانتشرت رائحته فملا الهواء واشتدت وطأة الباء حتى لم يعد الاطباء يذوقون راحة لكثرة المصابين ولم ينقطع فيلبس عن زيارة بيت روفينس لمداواة من فيه لكن اهل البيت كانوا على احر من الجمر فان ابطاء روفينس في العودة الى منف وانقطاع اخباره عنهم بدد الفرح من قلوبهم واورثهم القلق وكانت زوجته وابنته تشكوان امرها الى فيلبس كلما لقيته وفي احد الايام انبأته بأن نفراً

من جند العرب طرخوا البيت ثلاث مرات يتسمون اخباره وفي المرة الثانية الحواعلي الزوجة
لتخبرهم بمكانه فلم يسعها الا ان تكتن الحقيقة على كرها الكذب فاجابتهم قائلة لقد ذهب الى
الاسكندرية في قضاء مهمة وقد يضطر الى السفر الى سورية لانتقامها ولم يكن اهل الحل
والعقد في الفسطاط يجهلون ما اصاب روفينس ولكنهم ارادوا ان يكتن ما ألم بالفرسان لئلا يدري
به اهل منف فينخط شأن العرب في عيونهم

واشتد الضعف بنفوس فعادها الطبيب وادرك من ذهبها انها نتعاطى الافيون لتسكين
آلامها وقيل له انها تجرع كميات وافرة منه فاستاء واخذ يبين لها مغبة عملها فتوسلت اليه ان
لا يتركها وشأنها فاخذته الشفقة واجابها الى طلبها ظناً منه بأنه يستطيع تخفيف عذابها وانقاص
ما تجرعه من السم

وكانت كاترينا تتردد على السيدتين اليونانيتين فتطلعهما على اخبار المدينة وفي ذات يوم
اخذت تصف لهما باولين وافاضت في الكلام حتى تاقت السيدتان لرؤيتها فعرضت كاترينا ان
تعرفهما بها وطلبت اليهما ان ترافقاها الى بيت روفينس لكن مارتينا اعذرت عن الذهاب
بعلة الحر وقيلت دورا الدعوة فاحسنت باولين استقبالها وتلطفت في حديثها لكنها التزمت
الحذر ولم تخل مجالاً لما يشتم منه رائحة حبها لاوريون فلما رأتها دورا علمت انها لا تستطيع
مناظرة هذه الحسنة التي تفوقها جمالاً وتعقلاً وعلماً

وبعد ثلاثة اسابيع من مقتل روفينس كان فيلبس وابولون جالسين يأكلان طعام الفطور
والطبيب يسرع في التهام طعامه لضيق الوقت فدخل العبد وقال بالباب رجل يطلب لقاء
الطبيب لامر ذي خطر فاجاب هذا وقال ليس في طاقتي معالجة احد الا اذا اعطيت اربع
ارجل وست ايد فقال العبد ليس الرجل مريضاً فهو بستاني روفينس فارتعد فيلبس وادرك
الغرض من مجيء الرجل وحده فامر بادخاله واذا به مكسوة بالغبار من قمة رأسه الى اخمص
قدمه وقد تمزقت ثيابه وغارت عيناه حتى لم يكده يعرفه فلما وقعت عينه على فيلبس بكى فقال
الطبيب امات روفينس فاوماً بالايجاب ثم طفق يحدثه بما جرى وكيف لقي سيده حنفاً والرجلان
يصغيان الى حديثه فلما فرغ صاح الطبيب

اموت هذا الشهم ويخلف بعده فضلى النساء وخير البنات ويبقى مثلي في قيد الحياة ثم اخذ
الكتاب وقرأه ولما فرغ دار الى البستاني وقال

— أنجت الراهبات

— نعم

— من لنا الآن برجل ينقل خبر موته الى زوجته وابنته
 — ليس من يستطيع ذلك سواك
 — اصبت فغيري يا كل الحصرم وانا اخسر فقال ابولون
 — ذلك واجب عليك لصديقك فما يكون من امر هاتين السيدتين اذا ابصرنا
 صاحبتنا كما نراه

— قد تموتان جزعاً. ثم خاطب البستاني فقال اذا درى بك العرب سجنوك واقتصوا منك
 ولا يصعب تمييزك وانت على هذه الحال فاذهب الآن واغسل والبث في بيتنا واكتم ما تعرفه
 لئلا ينكشف بك بعض العبيد والخدم ولا اخال السيدتين في حاجة ماسة اليك فالاجدر بك ان
 تقوم على العناية ببستاننا

— رأيك الصواب بعينه ولكني وعدت سيدي بملازمة اهل بيته وانا العتيق الوحيد في
 ذلك البيت فلا يحسن بي مفارقتهم في مثل هذه الساعة فاذا اراد العرب قتلي فاهلاً وسهلاً
 بهم خيالي لا تطيب لي الآن ثم بكى واخذته الرعدة فسقط مغمى عليه فاسرع اليه فيلبس
 وسقاه كاس خمر فافاق فدعا عبداً وامره بنقله الى المطبخ والعناية به ولما خلا الصديقان
 قال ابولون

— تبينت من هيئتك وانت ثقرأ الرسالة ان ذلك المنكود الحظ كلفك امراً غريباً

— صدقت فهاك كتابه فاقراه فتناول ابولون القرطاس وقرأ

— من روفينس المنحضر الى صديقه العزيز فيلبس

ارى الموت قريباً مني واعلم ان ساعاتي معدودات ويدي لا تطيق القلم فساتوفى وبالايجاز
 ان همي الاول زوجتي وابنتي فكن لهما الصديق الوفي والسند الاكيد وقم على حراستهما فقد
 جعلتك وصياً عليهما بعدي وتركت لهما ما يكفيهما مؤونة التعب ويضمن لهما الراحة فاعلم ان
 عقاراتي في يد اخي وهو مثال الامانة والاستقامة فاذا اتاك كتابي هذا فاذهب اليهما وبلغهما
 بركتي وسلامي وشكري لزوجتي على حبها لي واهتمامها براحتي ورفاهتي مدة زواجنا اما انت
 فاسمع نصيحة شيخ عرك الدهر وبلى شره واقنع عن حب باولين فهي نصيب غيرك فان اللواتي
 ولدن في القصور لا يناسبنا نحن الذين ارتقينا بجدتنا وهمتنا فانبد حبها واقتصر على صداقتها
 فهي اهل لصداقتك واكرامك وانما لاتعل نفسك بالاقتران بها ولا تنقض حياتك عزاً فالمرأة
 ريحانة الرجل يزداد بها سروره وسعادته وتضاعف همته ونشاطه اما انت ففجهل ذلك كما
 يجهله صديقك الشيخ ابولون فقد قضى حياته مقتدياً بالزهاد وهيلانة تجسبك خير الناس واكملهم

ولا يخفى عليك حسن تربيتها وكمال اخلاقها ولستُ بقاتل لك تزوجها وانت تحبُّ اخرى لكني اطلب اليك ان تسكننا وصديقك في بيتي مع زوجتي وابنتي فاذا فعلتما فلن تندما . فاصغ الى طلب رجلٍ على حافة القبر وانت وصيهما والحارس عليهما فكن امينا في وصايتك واذكر صداقتنا . وكانت الكلمات الاخيرة معمة لكثرة تعاريجها فلما فرغ ابولون من القراءة قال فيلبس وما رأيك

— اهما كما يقول

— لم يؤدِّهما حقهما من المدح

— فلا مانع يمنعنا اذاً من قبول دعوته فنستريح من هذا العناء ونقضي بقية العمر في بيت حسن وتخلص من هذا الكهف فقد سئمت نفسي الاقامة فيه وارهت بداعي الى الخراب وليس من يرممه ثم تاب الى الجدة فقال ولكنه حلم يعبت براحة المرء فلننبذه

— على كل حال وما دام امر باولين كما هو فمن العبث النظر في هذا الشأن

— قاتلها الله فلا تبرح اتبع لنا من ظلمنا وكان اسمها عنوان شقائنا على اني ساكيدها واتخلص منها . ثم ناديا البستاني واوصياهُ بوجوب الحذر وملازمة السكوت وقال له فيلبس ابق في بيتنا ريثما انعي سيدك الى زوجته وابنته وليس من الحكمة ظهورك في منف فالجند يطرقون البيت كل يوم فاذا رأوك اوقعوا بك وعرضت سيدتيك للخطر الشديد

الفصل الرابع والثلاثون

اشتهرت مصر من قديم الزمان بمهارة سحرتها وحداقة عرافيها فكان الاجانب يقصدونها من كل حذب وصوب ليتلقوا فن السحر عن اهلها وكانت دورا في عداد من سمع بشهرة هؤلاء السحرة فارادت مكاشفة بعضهم عليها ثقف على ما خبأ لها الدهر فسألت كاترينا ان تدلها على ساحرة عليمه وطلبت اليها ان ترافقها فلبت هذه الطلب وذهبت الاثنتان الى واحدة اسمها ميديا فلما رأتهما وابصرت ما على دورا من الحلل الفاخرة والحلى الثمينة ادركت انها من النبيلات فاحسنت لمقاهها ولم تحفل بكاترينا لجهلها بها فلما دخلتا البيت الفتاه مملوءا بالبواتق والكؤوس وامثلة الشع واقفاص الخفافيش وزجاجات كثيرة فيها انواع الدبابات والحشرات السامة والضفادع نتصاعد فيه ابخرة وروائح كريهة فانقبضت نفس الزائرتين واشمئزتا اما الساحرة فاحضت تبين لها فوائد ما رأتا وطلبت اليهما ان تعودا بعد ثلاثة ايام قائلة ينقضي اليوم اشياء كثيرة لا يتم العمل بدونها فاذا اتيتا في الموعد الذي ضربته لكما كنت على اتم استعداد فعودتاها بالرجوع ولم يحل الاجل المضروب حتى ركبتا مركبة نفورس وسارتا نقصدان ميديا

وكلتاها مضطربتان أمّا دوراً فخشية منها ان تأتي النبوة على خلاف ما تشتهي وأما كاترينا فلانها ابصرت في صباح ذلك اليوم فيلبس خارجاً من بيت روفينس وسمات الكأبة على محياه وجاء بعده جند من العرب فداروا في البستان وعادوا من حيث اتوا وقبل الظهر ابصرت باولين تبكي في البستان واذ خرجت زوجة روفينس وابنته وقعت على عنقيهما وقبلتهما فادركت كاترينا انهن لا مر ما يبكين فاسرعت الى بيت روفينس لتستطلع الخبر فلقيتها مرضع باولين بوجه عبوس ومنعتها عن الدخول قائلة ان السيدات منفردات فلا يقبلن الزائرات

وفيما هما سائرتان الى بيت الساحرة ظلع عليهما كوكبة من فرسان العرب فدنا القائد منهما واخذ يسألها عن اسميهما وغرضيهما من الخروج ونحوه فارتاعنا ولم تصدقا بالنجاة حتى اذا ما بلغت بيت ميديا لقيتهما هذه بالخفاوة والاكرام وقد عرفت كاترينا فقالت لقد طلع الهلال وطلوعه من ادلة السعد وحسن الفال وقد قضيت الايام الثلاثة صائمة فظهرت نفسي من الادران وتمهيات للعمل فلا يفوتني امر الآن. ثم قدمت لهما كرسيين فجلستا ووضعت انا على النار فلما غلا ما فيه وسمع ازيزه قالت ألا تسمعان غليان آنية السعد فهذه اصوات جدك وبجئكما ثم طفقت تعزم وتدعو باسماء غريبة فلما فرغت من دعائها ربطت خيطاً الى بنصر يد دورا اليسرى وفعلت كذلك بكاترينا وطلبت من كل واحدة شعرة من شعر رأسها وامسكت الشعرتين فالتقيتهما في القدر وصاحت بهما

— ضعا الاصبع المربوطة على القلب وحدّقا الى القدر والبخار المتصاعد منها فانما يصعد هذا البخار الى ارواح النور في العلاء ففعلتا وقد امتلأتا رعباً وحيثئذٍ وقفت الساحرة واخذت تدور على رجلها كأنها مغزل وظلت كذلك نحو ساعة ثم جمدت فجأة وانطفأت الانوار وفاحت رائحة الطيب في البيت فسجدت ورفعت لحاظها الى السماء حتى انتشر شعرها خلفها وشرعت تنشد العزائم حتى كَلَّت عن الغناء فافاقت من ذهولها وامسكت القدر وقالت لدورا هاتي سبعة دنائير ففتحتها دورا بها فوضعتها في القدر ثم سكبت بعض ما فيه في صفحة فاذا هو اسود كالخبر وله بصيص كبصيص المرأة فحدقت اليه واخذت تعيد ما تراه فوصفت شاباً تنطبق اوصافه على اوريون انطباقاً تاماً كأنه مرسوم امامها وقالت اراه مسافراً صحبة شيخ غريب وهانذا اراه عائداً من سفرته ثم وقفت برهة وعادت الى الكلام فقالت وارى في المزيج صورتك وقد طوّفك بذراعيه وها انتما الآن واقفان امام حبر جليل في كنيسة نفيسة صفتها كذا وكذا ثم وصفت الكنيسة وصفاً دقيقاً جداً

فلما سمعت كاترينا كلامها احست بدوخة والم في قلبها وصدقت جميع ما انبأت به خصوصاً

بعد ان اجادت في وصف اوريون ولم يفت كاترينا من وصف الكنيسة انها كنيسة القديسة صوفيا في القسطنطينية فلما فرغت الساحرة من دورا نهبت كاترينا وطلبت منها الدراهم فنقدتها سبعة دنانير فالقتها في القدر الآخر ولكنها لم تكد تصب المزيج حتى سمعن اصواتا كهزيم الرعد فاخذن منهن الخوف كل مأخذ وصاحت ميديا والقت الاناء من يدها فتبدد ما فيه وكاد يغمي عليها فاسندتها دورا وسألته عن علّة اضطرابها فلم تجبها بشيء بل افلتت من يديها وتوارت عن ابصارها وراء الستارة وحينئذ دخل فتى وفتاة فجما الانية والعقاير والمساحيق وقذفها في فتحة في ارض البيت واطفأ النار وامسكا السيدتين فدفعاهما الى زاوية البيت وخرجا فارتاغت دورا وخفيت عليها علّة هذا الانقلاب فارادت الخروج واذا بميديا داخلّة فقالت ان حياتي في خطر عظيم وجزاء العرافة القتل فقولوا انكما اتيتما الى بيتي لتمرّضا من فيه ثم سارت بهما الى غرفة صغيرة فيها نور ضئيل فالفتا فيها شيخا وطفلا ملقيين على سريرين من القش وقد بدت اعراض الحمى فيهما كليهما فقالت الساحرة لئدّن كل منكما الى سرير فاطاعناهما اما كاترينا فوقفت ترتجف خوفا اذ لم تكن قد رأت مريضا في حياتها واما دورا فكانت قد اعنادت تمرّض ذوي الاسقام لاسيما زوجها فدنت من الطفل وامسكت بيده ومسحت العرق عن جبينه ولم يستقر بهما المقام حتى سمعتا قرع الاسلحة ورنينها واصوات الجند فما راعهما الا فيلبس الطبيب وقد دخل وراء ميديا فلما ابصرهما دهش والتفت الى ميديا فاسرعت هذه وقالت ان الشفقة حرّكت فؤادي السيدتين النبيلتين فجاءتا لتمرّضا هذين المسكينين فقال كذبت فلا تحاولي مخادعتي ثم اخرج دورا وكاترينا من الغرفة وقال لهما لقد اخطأتما خطأ كبيرا في مجيئكما الى مكان موبوء فعودا الى البيت واغسلا واطرحا ثيابكما واحرقاها لئلا تقعا فريستين لهذا الداء الويل لفرجنا وهما لا تصدقان بالنجاة ولا تعلمان كيف درى الطبيب بزيارتهم

اما محي فيلبس فكان بناء على طلب مجلس منف الذي نفي اليه ان ميديا لا تزال تمارس العرافة فياتياها الناس من المدينة وغيرها وفي بيتها مرضي بالوباء فارسل نفرا من الجند وكلف فيلبس ان يرافقهم ويتحقق صحة التهمتين حتى اذا ما ثبتت احدهما اقتصوا من ميديا فجاء وراى كاترينا ودورا فاخرجهما من حيث لا يشعر بهما الجند ثم امره لاء بنقل المصابين وانصرف واسرعت السيدتان الى المركبة وكاترينا تقول في نفسها اذا كانت هذه فاتحة السعادة التي بشرتك بها الساحرة يا دورا فحبذا هي واودّ الا تنقضي. ومرت المركبة بقصر المقوقس فاستوقفها بعض فرسان العرب وسألوا عنهن فيها فاخبرته كاترينا وقد كادت تذوب خوفا وحياء ولما رأت كثرة الجند سألت القائل عنهم فقيل لها ان اوريون متهم بتهمة فظيعة فرأى الاميران يحجز على

بيته وامواله وان يخرج من فيه من اهله وضيوفه في الغد فشق ذلك الخبر على دورا فدعتها
كاترينا للمبيت عندها فقبلت الدعوة ولما بلغتا البيت هرعنا الى الحمام فاغسلنا وزهبت كل
واحدة منهما الى مضجعهما

الفصل الخامس والثلاثون

كانت تلك الليلة من اشد ما لا فاه اهل بيت المقوقس فان فرسان العرب قدموا من
الفسطاط نحو العتبة يتقدمهم عبادة فاحاطوا بالقصر احاطة السوار بالمعصم ولما لم يجدوا اوريون
القوا القبض على نيلس الخازن وسأل عبادة عن السيدة نفورس فقيل له انها في غرفتها فارسل
الترجمان اليها يستأذنها في الدخول عليها ويطلعها على سبب قدومه فاتاها هذا وانباها بان اوريون
متهم بمكيدة كادها للعرب قُتل فيها اثنا عشر فارساً من فرسانهم فاصبح بفعلته هذه جانياً يستحق
عقاب الموت وحجز املاكه الى ان قال وهو متهم بالسرقة ايضاً ثم عرض عليها ما طلبه الوكيل
من لقاءها فقالت تربص مكانك ريثا اعود ثم دخلت حجرة اخرى فخرجت شيئاً من الافيون
ورجعت اليه فقالت اراني مستعدة للقائه فايثوني به فدخل عبادة وقال بعد التحية ينبغي ان
تخرجي من هذا البيت غداً ولك الخيار في البقاء في منف او الإقامة في بيتك الآخر في
الاسكندرية فاجابت سارى في ذلك فهل قبضتم على اوريون
فقال كلا ولكننا لا نجعل مكانه فستقبض عليه بعد يوم او يومين ومتى فعلنا فجزاؤه الموت
فقالت ومن يتهمه بالسرقة فقال بطيركه

فقالت ابنيامين ثم تبسمت وقالت لو درى بنيامين بما اعدته له لما اتهمه هذه التهمة الفظيعة
قالت ذلك مشيرة الى وصيتها التي اوصت فيها بجميع مالها للبطريك والكنيسة وحينئذ نهضت
واومات الى عبادة بالانصراف فخرج وهو يقول في نفسه اذا لم تكن مجنونة فهي بطل في صورة امرأة
ولما خرج دعت جواريا فحملتها الى غرفتها ووضعها في سريرها فامرت احدها بان
تأتيها بصندوق صغير دلتها على مكانه فجاءت به ووضعت على المائدة بجانب السرير ولما فعلت
امرتهن جميعاً بالانصراف وعمدت الى الصندوق ففتحته واخرجت منه كتابين بخط زوجها
كتبهما اليها قبل زواجها وقصيدة نظمها اوريون لها فحاولت قراءة الكتابين والقصيدة فلم
تفهم فعادت الى الصندوق وبرزت منه ذواتين من شعر ابنيها المقتولين وغديرة من شعر زوجها
فامسكت الجميع وطفقت تتأملها وقد غلب عليها الحنو وهاجتها الذكرى ثم تجرعت شيئاً من
الافيون وعادت تتأمل الغدائر وهي تقول لنفسها اريدون طردي من بيتي حيث قضيت اهناً
ايام حياتي فاحببت زوجي وربيت اولادي وفيه كنز آلامي وذكرى ايام صباي اطيع هذا

العبد بعد ان كنت في قمة المجد والعز اذ اُهم لا يعقلون وحينئذٍ مثلت امامها خيالات زوجها وولديها المقتولين وعقبها خيال اوريون ورأت زوجها في السماء فاتحاً ذراعيه ليرحب به وقضت بضع ساعات على هذه الحال نهضت في خنائها فسكبت ماءً في زجاجة الافيون وذوّبت ما فيها من الجيوب ثم جرعت المذوب دفعة واحدة واسرعت الى سريرها وقد انبسطت اسار يروجها وبدأت عليه امارات الراحة والطأنينة لكنها لم تضطجع حتى احست ببرد شديد فنادت جاريتها وقالت اسرعي وادعي كاهناً فاني في غمرات الموت فركضت الجارية الى القهرمان واخبرته بأمر سيدتها فاستأذن هذا عبادة فاذن له في الذهاب فلما خرج من القصر لقي شماساً فدعاه وادخله الى غرفة نفورس فالياها في حشجة الموت وفد ضاع رشدها ولما دنا منها الشماس ظننته اوريون فاخذت تدعوه بأحب الاسماء فزودها الاسرار وهي غائبة عن الوعي واعتراها برد شديد ورجفة فاسلمت الروح فبكى سبك بكاءً مرّاً حزناً عليها وخرج الى عبادة فانبأه بموتها فانقبض والتفت الى احد رجاله فقال كان في نيتي رعاية هذه المرأة واکرامها فماتت وسيتموني في المدينة بقتلها ثم انقطع عن الكلام فجأة وقال في نفسه من يسعى في امتلاك بلاد لا ينبغي له ان يكثر هذه الحوادث

البراكين واسبابها

وحادثة مرتينيك

العافل من رأى العبرة فاعتبر بها واستفاد منها ولذلك لم تكذب انباء ما حلّ بجزيرة مرتينيك وجزيرة سنت فنست تصل الى الاندية العلمية حتى اوفدت كثيرين من كبار علماء البحار عن اسباب ما حلّ بهما وما يمكن ان يستنتج منه من النتائج العلمية وما يمكن ان يبنى عليه في الاستدلال على ثوران البراكين قبل حدوثه

وقد كانت الاخبار التي وردت عن هذا الثوران حال حدوثه صحيحة منطبقة على الواقع لان لا غرض لمرسليها الا الاخبار عما حدث على مرأى منهم او عما بلغهم خبره. ثم هرع مكاتب الجرائد اليومية ولا سيما الجرائد الاميركية وهو لاء غرضهم الاول التهويل والتعظيم لكي يزيد وقع اخبارهم في النفوس ويكثر ما يباع من جرائدهم فلم تعد الاخبار تروى على صحتها ولذلك اضطررنا ان نمسك عن اداعتها في المقتطف بعد ما اذعنا الاخبار الاولى الصحيحة الى

ان صدرت تقارير العلماء الذين مضوا الى هناك قصد البحث العلمي وسنورد الآن خلاصة ما وقفنا عليه من هذا القبيل ونشفعه بما يزيده ايضاحاً فنقول

يظهر من المقابلة بين كرتنا الارضية والاجرام السماوية ان الارض كانت في العصور الغابرة قبلما وُجد الانسان عليها وقبلما عاش فيها حيوان او نبات جسمًا يكاد يكون سائلاً او متفرق الدقائق من شدة حموه ثم برد سطحها وجمد بتوالي العصور ولكن بقي جوفها شديد الحرارة ومن ادلة ذلك المواد البركانية التي تُقذف منه من وقت الى آخر فقد يكون فيها اجسام معدنية مصهورة من شدة حموها

ولكن وجود الحرارة في باطن الارض لا يكفي لتعليل البراكين وثورانها في اوقات غير معلومة وان كان السبب الاول لها لان هذه الحرارة موجودة دوماً واما البراكين فلا ثور الا نادراً وبراكين كثيرة انطفأت منذ زمن طويل ولم يعد يبدو منها اقل علامة تدل على قرب ثورانها . وهذه البراكين المنطفئة كثيرة لا يحلو مكان منها حتى ان البلدان التي لم يذكر في اقدم التواريخ انه ثار فيها بركان ما كالقطر المصري والقطر الشامي ثارت البراكين فيها في العصور الجيولوجية الغابرة . وكذلك من البراكين ما خمد سنين كثيرة ثم ثار ومنها ما ثار منذ مئات من السنين ثم خمد ولم يعد يذكر انه ثار ثانية . من ذلك ما جاء في تاريخ ابن اياس عن ثوران بركاني في الحجاز فقد قيل فيه انه في سنة ست وخمسين وستائة (للهجرة) في خامس جمادى الاخرى جاءت الاخبار من المدينة الشريفة انه ظهر في التاريخ نار بوادي شطا في المدينة وانه يخرج منها شرراً كل الحجارة وقبل ظهورها بخمسة ايام وقع بالمدينة زلزلة ولم تزل هذه النار مستمرة ليلاً ونهاراً نحو شهر وكان طولها اربعة فراسخ في عرض اربعة اميال وفي ذلك يقول القائل

بحر من النار تجري فوقه سفن من الهضاب له في الارض ارساء

منها تكاثف في الجو الدخان الى ان عادت الشمس منه وهي دهاء

يرمى لها شرر كالقصر طائشة كانها ديمة تنصب هطلاء

ولاشبهة في ان ذلك الحادث من نوع الثوران البركاني لكن كان له سبب آخر غير الحرارة التي في باطن الارض فزال ولذلك لم يعد يظهر مرة أخرى

وقد اتضح الآن ان السبب الآخر للبراكين هو الماء الذي يخالط المواد المعدنية الحارة فانه اذا حدث ما رفعها ولو قليلاً تمدد الماء الذي فيها ودفع ما فوقه وكما صعد زاد تمدده لان طبقات الارض التي فوقه تكون ضاغطة عليه بثقلها فكما صعد خف هذا الضغط عنه واخيراً تبلغ قوة تمدده درجة عظيمة جداً حتى يمزق الارض التي فوقه تمزيقاً كأنه الديناميت ويدفعها

في الجوّ صخوراً و اتربة بل يمزق دقائق الصخور حتى تطير في الجو كالغبار المتطاير و يصعد بها الى علو شاهق جداً وقد يرفعها من عمق كبير حيث تكون حرارتها شديدة حتى اذا بلغت وجه الارض جرت عليها كالسوائل او كصهارة المعادن . وقد ثبت ذلك كله من وجود البخار بكثرة في مقذوفات البراكين حتى ان ما يظن دخاناً خارجاً منها ليس الاً بخاراً مائياً . ولا غرابة في ذلك لأن البخار الذي في مرجل الالة البخارية قد يشق المرجل ويمزق حديد الالة البخارية والبناء الذي هي فيه ويفتت حجارتها تفتتاً وما حرارة هذا البخار بالشئ المذكور في جنب حرارة باطن الارض حيث تبلغ النفي درجة او أكثر

ومتى اندفع البخار من البركان على هذه الصورة فكثيراً ما يرفع قمة الجبل ويمزقها ويمري بها في الجو فيصير الجبل مجوفاً من اعلاه كالكاس وهو كاس البركان كما ترى في الشكل الاول وهو



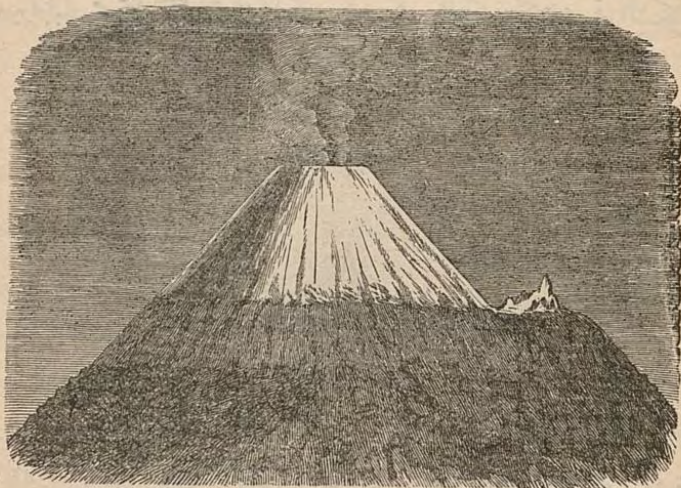
الشكل الاول

صورة وهمية لجبل ناري ترى فيها مقطوع هذا الجبل وعنق البركان حيث يخرج البخار وما معه من المواد المقذوفة به من جوف الارض . وعلى جانب هذا الجبل فوهتان صغيرتان حيث الحرفان $f f$ كان يظن اولاً انهما من البراكين الصغيرة المتصلة بالبركان الاصلي لكن ثبت الآن من ثوران جبل ييلي في مرتنيك ان ما كان كذلك ليس براكين صغيرة بل انجرة صاعدة من اللحم الواقعة على جوانب البراكين

ثم ان اللحم التي تقذف من البراكين تتجمع حول فوهتها حتى يصير بها شكل الجبل مخروطياً ويرى هذا الشكل المخروطي على اتمه في بركان كوتوبكسي المرسوم في الشكل الثاني . ومن غريب امر هذا البركان ان الثلوج تغطي الجزء المخروطي منه كما ترى في الشكل لان ارتفاعه أكثر من ١٩ الف قدم عن سطح البحر وهو من اعلى البراكين فترى عمود الدخان او البخار فوق رأسه والنار تتأجج فيه غالباً والثلج يغطي جوانبه وهو من مدهشات الطبيعة . وقد ثار هذا البركان سنة ١٧٤١ وارتفع عمود اللحم منه خمسة آلاف قدم وبقي ثائراً ثلاث سنوات متوالية

ومن جملة المقذوفات التي قذفها صخر ثقله ٢٠٠ طن رمى به مسافة عشرة اميال وكان ذلك سنة ١٥٣٣ . وعاد الى الثوران سنة ١٧٦٨ وكان ثورانه حينئذ على اشده ثم خمد الى سنة ١٨٥١ فثار تلك السنة وسنة ١٨٥٤ و ١٨٥٥ و ١٨٥٦

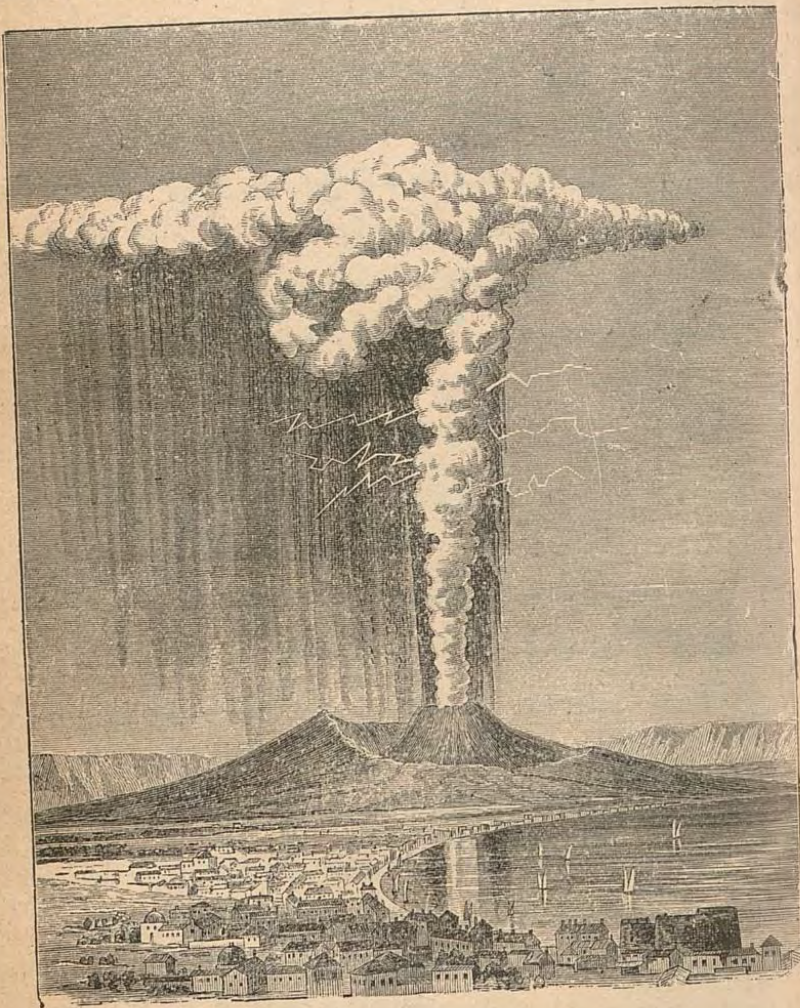
واذا كان كاس البركان وسعاً جداً كما صار بركان يزوف حينما قُذفت قمتُه كلها سنة ٧٩ للميلاد وظهر ثلاث مدن ببياي وهر كولانيوم وستايا فقد تجتمع الحمم فيها في ثوران تال وتكون كاساً مخروطية ضمن الكاس الاول كما ترى في الشكل الثالث فانه صورة هذا البركان في ثورانه الذي ثاره سنة ١٨٢٢ والكاس الكبيرة التي حول الكاس المخروطية باقية من الثوران الاول الذي ثاره سنة ٧٩ للميلاد . وتفصيل ذلك الثوران ان يزوف خمد زماناً طويلاً



الشكل الثاني صورة بركان كوتوبكسي باميركا الجنوبية

قبلا ثار حتى نسي الناس انه كان بركاناً فغرسوا الاشجار والكروم على جوانبه وشادوا المنازل والقصور ومصرّوا عند سفحه ثلاث مدن كبيرة وبقيت قمتُه العليا جرداء فاستدلّ منها كبار المؤرخين مثل سترابو وديودورس الصقلي انها كانت بركاناً في سالف الزمن . وسنة ٧٩ للميلاد كان بلينيوس الاكبر العالم الطبيعي المشهور اميراً على الاسطول الروماني في تلك الجهات وكان معه ابن اخيه بلينيوس الاصغر وهو فتى في السابعة عشرة من عمره فوصف ما شاهده هو وعمه في كتاب كتب به الى تاشيتس لم يزل محفوظاً وقد جاء فيه انه صعد من قمة يزوف عمود اسود انبسط في اعالي الجو كشجرة كبيرة من الصنوبر بسطت اغصانها في الفضاء فاسرع بلينيوس الاكبر مع بعض رفاقه الى البر ليجتّ عماً لذلك الجبل لانه كان من ارباب البحث والتحقيق فبلغ مرفأ راسينا ولكنه لم يستطع النزول هناك لكثرة ما كان ينهال عليها من

الحجارة والرماد ولأن البركان قد حُسر عن الشاطئ . فمضى الى مدينة ستايا ونزل فيها
واسرع الى بيت صديق له اسمه بمينانوس وبقي فيه الى المساء وهو يراقب الجبل . ثم ظهرت
السنة النار على جوانبه فحسب انها من احتراق القرى والحراج لكنه لم يكن يوجس خيفة فدخل



الشكل الثالث ثوران بركان يزوف سنة ١٨٢٢

تخذه ونام . وكثر وقوع الرماد والحجارة في ستايا تلك الليلة حتى امتلأت دار البيت بها
فأيقظه خدمه وخرج الجميع من البيت بعد ان ربطوا الوسائد فوق رؤوسهم لكي لا تصرعهم
الحجارة المنهالة عليهم وكان الظلام حالكاً مع ان النهار كان قد طلع فساروا على ضوء المشاعل الى

ان بلغوا الشاطئ ثم اغمى على بلينيوس وخنقته الغازات السامة ففاضت روحه وانقضى اجل ذلك العالم الطبيعي شهيداً في سبيل العلم
اما الثوران الذي حدث سنة ١٨٢٢ ورُسم في الشكل الثالث فارتفع فيه عمود السحاب المقذوف من الجبل عشرة آلاف قدم وتراسلت البروق فيه وهطل منه مطر حار كالسيل العرم وقد تبلغ المواد المقذوفة من البراكين ارتفاعاً شاهقاً جداً حتى تصير تدور حول الارض كما تدور الاقمار حول كواكبها ان الغبار الذي قذفه بركان كراكاتوى بين جاوى وصومطرة سنة ١٨٨٣ بلغ ارتفاعه ١٧ ميلاً على اقل تقدير وبقي ثلاث سنوات يدور حول الكرة الارضية واطلت البلاد به على اكثر من الف ميل حول البركان. وكان ذلك الثوران اشد من ثوران بركان ييلي اضعافاً مضاعفة لان صوته سُمع على مسافة الف ميل واما ثوران بركان ييلي فلم يسمع على مئتي ميل لكنه كان من اشد الثورات فتكاً بالنفوس ومن اقواها على تحريك عاطفة البشر ومن اننعها في تحقيق شرايع البراكين

وسبق هذا الثوران حوادث بركانية كثيرة اولها ثوران بركان كوليا في غربي بلاد المكسيك في اواخر العام الماضي ثم زلزلة المكسيك والقسم المتوسط من اميركا التي اخربت بعض المدن في ١٨ ابريل الماضي. وكان هذه الزلزلة حركت شقاً متصلاً ببركان ييلي في جزيرة مرتنيك او نكأت جرحاً قديماً كان قد ضمد منذ سنة ١٨٥١ وحركت جرحاً آخر متصلاً ببركان سوفريز في جزيرة سنت فنست وكان قد ضمد منذ سنة ١٨١٢ فجعل دذان البركانان يقذفان البخار ولم ينته شهر ابريل حتى توالى الاصوات كهزيم الرعد وكثير رجفان الارض واندفاع الودود من بركان ييلي وامتحان الاستاذ لاند من اساتذة مدرسة سان بير الهواء فوجد فيه غازات مما يكون في طبقات الارض السطحية فبعث الى حاكم مرتنيك ينبئه بدنو الخطر وكان بعضهم قد انبأ بهذا الخطر قبل ذلك باكثر من عشر سنوات حيث قال ما ترجمته

”ثار جبل ييلي سنة ١٨٥١ وقذف النار والدخان فاضطرب السكان ولجأ بعضهم الى السفن الراسية في المرفأ وثورانه حينئذ لم يكن له شأن كبير لانه اقتصر على طمر مئات من الفدادين بالمواد الكبريتية لكنه دل على ان البركان لم ينطفئ بل هو خامد. ثم تنبه مرة او مرتين بعد ذلك دلالة على انه سيستيقظ يوماً ما ويعظم سان بير بالرماد والحمم كما فعل بركان يزوف بمدينة بيباي“. وقد طبع هذا القول ونشر سنة ١٨٩٢ ونم الآن حرفياً كان صاحبه اوتي علم الغيب. لكن ثوران سنة ١٨٥١ وذهابه من غير ضرر اغرى السكان بان ما حدث الآن من قبيل ما حدث حينئذ فلم يوجسوا خيفة

وفي اليوم الخامس من شهر مايو ثار بيلي وقذف حناتة الصخور مازجاً ايّاهما ببخار الماء فانهاالت على الارض ماءً غالياً وطيناً حاراً واكتنفت معمل سكر وقتلت من فيه . ومع ذلك بقي حاكم الجزيرة يمنع الناس من المهاجرة حاسباً ان هذا الثوران سليم العاقبة مثل الثورات السابق الذي حدث سنة ١٨٥١

وثار بركان السفيرير في جزيرة سنت فنست في السابع من مايو ثوراناً شديداً جداً لكنه قطع الاسلاك البرقية فلم يصل خبره الى سان بيرلينذر سكانها بدنو الخطر فتربصوا في امكانهم يتوقعون منيتهم وما خبيّ لهم في مخابئ القدر الى اليوم التالي وهو الثامن من مايو ذلك اليوم المشهود . وفي صباحه انبثق البركان من رأسه وجانبه وكان لانبثاقه صعقة صمّت الاذان على ما قيل فارجت الارض ومادت بسكانها فلاذوا بمنازلهم ومعابدهم وكان الجبل قد ارسل عليهم محاباً من الغازات الملتحمة ومطراً من الحجارة المحاة فانها لا على المدينة والسفن التي في مرفأها فغمراها في لحظة من الزمان وكانت السفن سبع عشرة فلم ينج منها الا اثنتان واصاب القرى المجاورة لسان بير ما اصابها فحيت من لوح الوجود واهتزت جزيرة مرتنيك كلها بهذه الصعقة وحملت الامواج صوتها مئتي ميل من كل جهة وارتفع عمود البخار والغبار اميالا وانتشر الغبار على سطح الاوقيانوس اكثر من مئة الف ميل مربع

ولم يكن هذا الثوران خاتمة المطاف ولا اقصى ما استطاعه ذلك البركان . واستمرّ السفيرير على قذف البخار والطين وبيلي على قذف الحمم الى العشرين من مايو فثار بيلي حينئذ ثورة اشد من الاولى بلغ تأثيرها المغنطيسي مدينة باريس شرقاً وجزائر هنولولو غرباً وتنبّهت لها حمام مكسكو الجديدة وبراكين كثيرة كانت خامدة . وبلغ عدد النفوس التي قضى عليها بثوران بيلي والسفيرير اربعين الفا وهم ٢٥ الفا في مدينة سان بير وسبعة آلاف في القرى المجاورة لها والقان في جزيرة سنت فنست ونحو خمسة آلاف في بلدان أخرى

وارتفاع جبل بيلي نحو خمسة آلاف قدم عن سطح البحر وهو محجوف من جانبه الجنوبي الغربي كان جانباً منه خسف من تلك الجهة في غابر الزمن فصار كالراحة المجوفة . هناك بنيت مدينة سان بير عاصمة جزيرة مرتنيك حتى اذا ثار هذا البركان يوماً لا تجد مقدوفاته سيلاً الا اليها . لكن مضت السنون وهو خامد فاغفل الناس امره ثم ثار سنة ١٨٥١ كما تقدم لكنه اكتفى بقذف الرماد والوحل فحسبوا ان هذا كل ما في وطابه فاستناموا وازدهت المدينة وكانت عروس المدن في جزائر الانتيل الصغرى وواسطة عقدن . وفيها ولدت جوزفين زوجة نابليون الاول واليها يتسب برناردين الكاتب الفرنسي الشهير مؤلف رواية بول وفرجين التي جعل

وقائعها في جزيرة مرتنيك . وهي عاصمة تجارة جزائر الانتيل
 وكانت جوانب جبل ييلي مغطاة بالمزارع والقرى تجري فيها جداول المياه وتغلبها طرق
 المارة فلا يبين من الارض سواها . وفي كاس البركان بحيرة يجري الماء منها وينضم اليه غيره
 من الينابيع فيتكون منها نهر يقال له النهر الابيض
 ومن رأي الدكتور مكجي الاميركي " ان الثوران الاول الذي حدث في الخامس من مايو
 قذف ماء البحيرة التي في اعالي جبل ييلي فانهاالت بعزم شديد وجرفت الاتربة ومعمل السكر
 على ما تقدم ثم في صباح الثامن من الشهر كان في حلق البركان صخور ذائبة فتمدد بخار الماء
 تحتها وقذفها في الجو فعلت فوقه بخاراً ودخاناً وغباراً وحجارة محماة تكاد تكون مائة لشدّة
 حموها . وكان لانقذافها في الجو تأثير شديد في الهواء فتكونت فيه امواج شديدة الضغط ثم
 وقعت هذه المقذوفات بتقلها فلقيت امواج الهواء فجرت معها نحو المدينة كروبعة هوجاء وفي
 جانب ييلي فوهة صغيرة انفجرت حينئذ وقذفت بخاراً وغازات اثقل من الهواء فجرت امام
 مقذوفات البركان كغمامة كثيفة وجهها اسود عبوس وسافتها نار مضطربة او بوق كهربائية
 فطارت سقوف البيوت من وجهها كالعاصفة امام الريح وقذفت المدافع الكبيرة من فوق مركباتها
 وهناك تمثال من المعدن ثقلة مئة وخمسون قنطاراً رُمى به العاصف فابعدته عن مقره مئة
 وعشرين قدماً وبلغ هذا العاصف السفن التي في مرفأ المدينة فقلبها وقطع مراسيها ودفع ماء
 البحر امامه فحسره عن الشاطئ الى امد بعيد حتى اذا بلغ ابعده مداه ارتد بعنف شديد واجهن
 على المدينة وما فيها

" وحالما سمع الاهالي صعقة البركان وشعروا بارتجاف الارض تحت اقدامهم ورأوا الغمامة
 السوداء تعدوا اليهم لجأوا الى منازلهم ومعابدهم او هاموا على وجوههم لا يدرون الى اين يذهبون
 لكن العاصفة ادركتهم حالاً وضربت بهم جدران البيوت ثم انهالت عليهم الحجارة الحماة
 كحجر النار واكتنفتهم الابخرة الكبريتية والغازات السامة فقضوا ترضاً واحترقاً واخناقاً
 واشتعلت الغازات فاجهزت على من بقي حياً

" هذه خلاصة ما شهد به الذين كانوا في السفينة رودام التي نجت من الغرق والاحتراق
 بشق الانفس وما شهد به اناس كانوا واقفين على شواحق تطل على سان بير وشهادة هؤلاء
 كلهم متفقة على ان بركان ييلي حرق سان بير بناره . وفي اقل من عشر دقائق اهلك ثلاثين
 الف نفس سكانها وسكان ضواحيها ثم كائن ان تبقى اشلاء قتلاه من غير دفن فنثار في
 العشرين من مايو وطمروهم بالتراب والحجارة وكان الثوران الاول قد ابقى جانباً كبيراً من

جدران البيوت والمباني العمومية قائماً فلم يبق الثوران الثاني شيئاً منها بل مهد المدينة تمهيداً.
هذه خلاصة ما قاله الدكتور مكجي

ولا تخلو اقوال العلماء الباحثين في هذا الموضوع من الاختلاف والتناقض في بعض الامور ويؤخذ مما ذكره الاستاذ ملن حديثاً في الجزء الاخير من جريدة ناشر الصادر في ١٤ اغسطس ان القبطان فرمين ربان السفينة رودام التي نجت ببعض بحارتها راقب الثوران الاول مراقبة دقيقة رغمًا عن انهيار الرماد الحار عليه حتى حرق وجهه ويديه فانه كان واقفاً على ظهر سفينة حينما ثار البركان وكانت السفينة قد دخلت المرفأ حينئذ وصارت على امتار قليلة من الشاطئ وقد قال انه رأى سحابة سوداء آتية من جانب البركان بسرعة فائقة وهي التي قلبت السفن فلما رآها مسرعة اليه كان البخار لا يزال في سفينة فاجراها الى الورا باشد سرعتها حتى انقطع حبل مراساتها ومنع الرماد سيرها الى الورا فعاد بها الى الامام ثم عاد الى الورا وجعل يتعد ويقرب وهو يرى السفن تحترق بجانبه والناس هائمين على الشاطئ دلالة على انهم لم يموتوا كلهم دفعة واحدة وكانت الحجارة والرماد تنهال على سفينة كما تنهال على غيرها فقتلت ٢٦ من بحارته واخيراً تيسر له الهرب فجا بنفسه وبالذين بقوا احياء من رجاله وفي سفينة ما زنته ١٢٠ طنًا من الرماد او التراب الناعم المقدوف من البركان وبقي هذا الرماد سخناً ثلاثة عشر يوماً وبلغ سمك طبقة الرماد في سان بير قدماً واحدة

ومن رأي الاستاذ ملن ان الناس اخنقوا باستنشاق الرماد السخن او احترقوا به او بالبخار السخن والسنة النار واحترق معهم كل نبات اخضر في المدينة وحولها ولكن لم يحترق من الجزيرة كلها سوى جزء من عشرين جزءاً وما بقي لا يزال اخضر نضراً. ولم تجر من البركان انهر من المعادن المصهورة بل انهر من الطين

ومن الذين مضوا الى تلك الجزائر للبحث عمّا فعله بركان ييلي والسوفيرير الدكتور توماس جمار الاميركي من مدرسة هارفرد الجامعة وقد قال في هذا الصدد ما خلاصته

”وصلنا فورده فرانس في الحادي والعشرين من مايو وانتقلنا الى سان بير حالاً ونزلنا فيها وكان الثوران الثاني قد حدث في اليوم السابق. وخاف رئيس الباخرة التي كنا فيها ان يفاجئنا مفاجيء فوقف يرقب البركان وامرنا ان نعود الى القوارب حالما نسمع صفير السفينة فجعلنا نضرب بين الخرائب فلم نر بناء قائماً بل كانت الشوارع كلها مغطاة بالانقاض والحجارة المستديرة كانها من زلط البحر يعولها كلها مسحوق رمادي ضارب الى الخضرة كانه الرمل. ورأينا كثيراً من الجثث متفرقة ومجمعة وتدل الصور الفوتوغرافية وشواهد العيان على ان الثوران الاخير

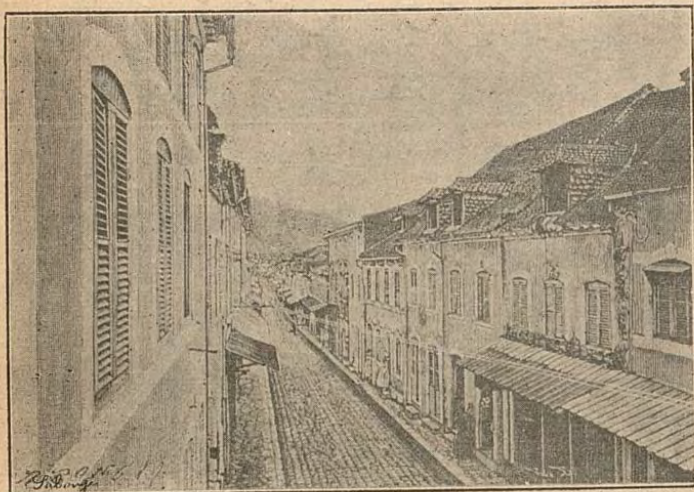
الذي حدث في العشرين من الشهر كان اشد من الثوران الاول الذي حدث في الثامن منه
ويظهر ذلك جلياً من الصور الاربعة التالية فان الاولى وهي الشكل الرابع صورة المدينة
قبل ثوران البركان والثانية وهي الشكل الخامس صورة شارع من شوارعها وهو شارع فكتور هيغو
قبل الثوران ايضاً والثالثة وهي الشكل السادس صورة هذا الشارع عينه بعد الثوران الاول
الذي حدث في الثامن من الشهر والرابعة وهي الشكل السابع صورته بعد الثوران الاخير الذي
حدث في العشرين منه فإنه لم يبق فيه الا انقاضاً مبعثرة



الشكل الرابع مدينة سان بير قبل خرابها

وقال الدكتور جغّار "ان جثث الموتى كانت لينة بعد الثوران الاول فيست وثقلصت بعد
الثوران الثاني كأن نطحته كانت احمر من نطح الثوران الاول والجانب القريب من البركان
يطمره الرمل والحصى الى عمق عميق واما الجانب الجنوبي فلا يزيد سمك ما عليه عن قدم او
قدمين. ولما مررت في شارع فكتور هيغو لم أكد اصدق ان تلك الخرائب كانت منذ اسبوعين
شارعاً في مدينة فرنسوية عامرة فإنه لم يكن فيه غير الانقاض وقد حرق الخشب منها. والتفت
الى البركان وكانت قمته مغطاة بالضباب ولكن الشمس مشرقة على سفحه بين في نورها معبراً بالغبار
كأنه تمثال قديم علاه غبار النسيان. والجانب الذي فيه البركان ومجرأ رمادي صخري
لا حياة فيه ولا حراك غير منافس البخار تتنفس منه وحول ذلك آكام مكسوة حضرة. ولكن

ما هذه المنافس البخارية. لما نزلنا من القارب لم نَر منها الاً منفساً او اثنين وهي الآن ثمانية بل عشرة بل عشرون وقد امتلأ بها سفح الجبل وهي تعلو الى قنته . كان الدكتور تشرش واقفاً



الشكل الخامس شارع فكتور هيجو في مدينة سان بيرقيل خرابها الى جانبي وراي ارقبها موجساً منها خيفة . صارت الآن اربعين منفساً كأنها آلات بخارية



الشكل السادس شارع فكتور هيجو بعد الثوران الاول خرجت من اسرارها واطلقت بخارها دفعة واحدة . وكان العلماء الذين معنا والضباط متفرقين

بين خرائب المدينة حيث لا يُرى البركان فلم يروها فالتفتنا الى السفينة فرأيناها قذفت البخار من صفارتها ونادتنا بصوت دوت له الجبال والقيعان لنعود اليها سريعاً منذرةً ايانا بالخطر فانقلبنا راجعين الى الشاطئ وهرعنا الى القوارب لا نلوي على شيء ولم نبعد عن البر إلا قليلاً حتى اقبل اثنان لم يسمعا الصغير الاول او كانا بعيدين فعدنا اليهما بالقارب ونظرنا الى الجبل واذا البخار يصعد عنه من كل ناحية كأنه يتخفّز للثوران لكنه لم يثر. ويظهر لي الآن ان ذلك البخار حدث من مطر وقع عليه من السحاب الذي كان يكتنفه فجرت المياه على جوانبه فاصابت



الشكل السابع شارع فكتور هيجو بعد الثوران الثاني

بقعاً فيها حجارة حامية فاستحالت بخاراً . ثم رأينا ذلك مراراً وتبينناه جيداً في سنت فنسنت كما سيبي

ثم وصف شكل الجبل ووضع سان بير في تجوينه مما يلي البحر وقال ان هذا التجويف يحيط بها من الشرق والجنوب وان البحر يحدها من الغرب . ورجح ان المواد التي انهالت عليها في الثوران الاول كانت حامية كالجر وصغيرة الاجزاء كالرمل وهي اذا نظرت في الظلام بانت كالمعدن المصهور او كأنهار من النار جارية على جوانب الجبل وان كاس البركان طولها نحو الف قدم وعمقها نحو ثمانمائة قدم تتصل بشعب من جهة الغرب واصل الى البحر وقد كان هذا الشعب هناك قبل الثوران الاخير

وسنأتي على نثمة وصفه وما قاله هو وغيره مما فيه فائدة وذكرى

الخمر والتبغ والطعام

بحسبنا نرى ما يشربه سكان القطر المصري من المسكرات فوجدنا أنه دخله من الخمر في العام الماضي ما ثمنه ١٤٧ ٣٨٣ جنيهًا وهي تباع بالتفاريق بأكثر من أربعة أمثال ثمنها الذي قدرت به في الجمر فلا يقل ما تباع به عن ستمائة ألف من الجنيهات . ودخله من البيرة ما قدر ثمنه في الجمر بنحو ٨٣ ألف جنيه ولعلها تباع بالتفاريق بنحو ثلثمائة ألف جنيه ودخله من سائر الاشربة الروحية كالكنياك والوسكي ما قدر ثمنه في الجمر بمائة ألف جنيه وأكثر هذه الاشربة تباع بالتفاريق بثمن فاحش جدًا فيبلغ ثمن زجاجة الكنياك من مئة غرش الى مئتي غرش وإذا قدرنا الثمن الذي يدفعه سكان القطر بالتفاريق عشرة اضعاف الثمن الذي تقدر به هذه الاشربة في الجمارك لا نكون قد زدنا بل قللنا ولذلك فسكان القطر المصري يدفعون نحو مليوني جنيه كل سنة ثمن الاشربة الروحية من خمر وبيرة وكنياك ووسكي وما اشبه وهم عشرة ملايين نفس فمتوسط ما يخص النفس الواحد في السنة عشرون غرشًا

ويأتي التبغ بعد المسكرات لأنه من نوعها لذة وقتية يعقبها الضرر الدائم اولا تعقبها فائدة تذكر وقد دخل القطر المصري في العام الماضي نحو ستة ملايين ونصف مليون كيلو من التبغ وصدر منه نحو نصف مليون كيلو فاستعمل فيه ستة ملايين كيلو وهي تباع بالتفاريق بأربعة ملايين جنيه او اقل قليلاً فمتوسط ما يخص كل نفس من سكان القطر اربعون غرشًا في السنة وخلاصة ما تقدم ان سكان القطر المصري يدفعون كل سنة نحو مليوني جنيه ثمن المسكرات التي يشربونها ونحو أربعة ملايين جنيه ثمن التبغ الذي يدخنونه

نأتي الى ثمن الخبز الذي يأكله سكان هذا القطر . وليس عندنا احصاء مدقق له ولكن اذا كان ثمن حاصلات القطر ثلاثة واربعين مليوناً من الجنيهات وثن القطن منها وبزرتة خمسة عشر مليوناً فالباقي وهو ٢٨ مليوناً هو ثمن الحنطة والذرة ونحوها مما يؤكل وثن علف المواشي والفاكهة ولعل ثمن الحنطة والذرة لا يزيد على خمسة عشر مليوناً من الجنيهات وثن بقية اصناف الطعام لا يزيد على عشرة ملايين وهذا ينطبق ما يقدره السكان وهو اردب ونصف من الحنطة في السنة لكل نفس فسكان هذا القطر ينفقون في السنة على طعامهم خمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات وعلى التبغ والاشربة الروحية ستة ملايين من الجنيهات الا أن الطعام لازم لكل الناس ويشترك فيه الجميع واما التبغ والمسكرات فلا يستعملها الا بعضهم فيخرج منهم اولاً الصغار كلهم من ابن اربع عشرة سنة فئزلاً وهم نحو ثلاثة اخماس السكان وثانياً النساء

كلهم وكل الذين لا يشربون مسكراً ولا يدخنون تبغاً . وإذا قلنا ان عدد الذين يدخنون التبغ يبلغون مليوني نفس والذين يشربون المسكرات أكثرهم منهم لا من غيرهم لا نكون قد زدنا عددهم عمّا هو عليه حقيقة ولذلك فالذين يدخنون التبغ ويشربون المسكرات لا يزيد عددهم على مليوني نفس ومتوسط ما ينفقه الواحد منهم في سنته على التبغ والمسكرات ثلاث جنيهات وهو ينفق على طعامه الضروري لحياته جنيهين ونصف جنيه لا غير كما نقدم وهذا على غرابته امر واقعي لا جدال فيه

ثم ان بلاد أبنفق سكانها ستة ملايين من الجنيهات في السنة على بعض الملاذ يُنتظر انهم ينفقون ما يقاربها على ما منه فائدة كبيرة او ما هو اساس عمرانهم وقوام كيانهم كالعلم والتهديب والكتب والجرائد

اما التعليم فغاية ما تنفق عليه الحكومة والتلامذة الذين يتعلمون في مدارسها نحو مئة وستين الف جنيه في السنة . وما ينفقه الاهالي على المدارس الاهلية من كل الانواع وما ينفقونه على اولادهم في المدارس الاجنبية لا يزيد على مئة واربعين الف جنيه فجملة ما ينفق على التعليم في القطر المصري لا يزيد على ثلثة الف جنيه في السنة . واذا اضفنا الى ذلك ما ينفق على الكتب والجرائد لم يبلغ المجموع مليون جنيه اي ربع ما ينفق على التبغ وحده ونصف ما ينفق على المسكرات فكان كل صاحب بيت في القطر المصري ينفق على التبغ والمسكرات ثلثة غرش في السنة وعلى تعليم اولاده خمسة عشر غرشاً لا غير على فرض ان اصحاب البيوت مليونان وفي كل بيت خمس انفس

وانظر كيف يُنفق دخل السكان في هذا القطر فان دخل الزراعة الآن يبلغ ثلاثة واربعين مليون جنيه في السنة ودخل الصناعة والتجارة والاستخدام نحو عشرين مليون جنيه في السنة فجملة دخل السكان نحو ثلاثة وستين مليون جنيه في السنة وهي تنفق هكذا بالتقريب

٢٥	مليون جنيه	ثمن الطعام
٨	ملايين جنيه	ثمن اللباس
٧	" "	ربا دين الحكومة والاهالي
٦	" "	نفقات الحكومة
٤	" "	ثمن التبغ
٣	" "	ثمن الفحم والخشب
٣	" "	ثمن المعادن والآلات المعدنية

٢	ملايين جنيهه	ثمن المسكرات
١	مليون جنيهه	ثمن السكر والشاي والبن
١	" "	ثمن الحجارة والجير والرخام والخزف
١	" "	ثمن الاصباغ والمواد الكيماوية
١	" "	ثمن الورق والكتب واجرة التعليم
١	" "	ثمن مواد متفرقة
٦٣	مليون جنيهه	والجملة

فالذي يدخن التبغ ينفق عليه في السنة أكثر مما ينفق الفرد على طعامه واضعاف ما ينفق على لباسه والمدخنون وشاربو المسكرات ينفقون في السنة ستة اضعاف ما تنفق البلاد كلها على التعليم والتهديب والكتب والجرائد والورق والحبر والاقلام وكل وسائل الارتقاء العقلي وسكان هذا القطر غير منفردين في ذلك ولا هم ممتازون على غيرهم به فان اهالي الولايات المتحدة الاميركية مثلاً ينفقون في السنة على التبغ ٩٦ مليون جنيهه وهم ثمانون مليوناً اي ثمانية اضعاف اهالي القطر المصري فكل عشرة ملايين منهم ينفقون في سنتهم على التبغ اثني عشر مليون جنيهه اي ثلاثة اضعاف ما ينفقه سكان القطر المصري . وينفقون على المسكرات نحو ٢٧٠ مليون جنيهه فينفق كل ١٠ ملايين نفس منهم نحو ٣٤ مليون جنيهه اي سبعة عشر ضعف ما ينفقه سكان القطر المصري لكن شتان بين دخل السكان هناك ودخلهم في هذا القطر فقد تقدم ان دخل العشرة الملايين سكان القطر المصري يبلغ ٦٣ مليون جنيهه في السنة اما دخل سكان الولايات المتحدة فيبلغ ٣٦٠٠ مليون جنيهه فدخل كل عشرة ملايين نفس منهم يبلغ في السنة ٤٥٠ مليون جنيهه او اكثر من سبعة اضعاف دخل السكان في القطر المصري وهم ينفقون على التعليم نحو خمسين مليون جنيهه في السنة

وهاك جدولاً ابناً فيه متوسط دخل الشخص الواحد من سكان الولايات المتحدة ومن سكان القطر المصري ومتوسط ما ينفقه كل منهما على التبغ والتعليم

متوسط دخله	نفقائه على التبغ	نفقائه على التعليم
الاميركي ٤٥٠٠ غرشاً	١٢٠ غرشاً	٦٢ غرشاً
المصري ٥٣٠ غرشاً	٤٠ "	٣ غروش

فمتوسط دخل المصري سبع متوسط دخل الاميركي ولكنه ينفق على التعليم نصف عشر ما ينفقه الاميركي وعلى التبغ ثلث ما ينفقه الاميركي . والاميركي ينفق على التبغ اقل من مضاعف

ما ينفقه على التعليم واما المصري فينفق على التبغ أكثر من ثلاثة عشر ضعف ما ينفقه على التعليم وهذه المقابلة بيننا وبين سكان الولايات المتحدة الاميركية تصلح ان تكون بيننا وبين سكان انكلترا وفرنسا ومانيا وايطاليا وغيرها من الممالك المرتقية فان الدخل فيها كلها أكثر كثيراً منه في هذا القطر وكذلك ما ينفق على التعليم واما ما ينفق على التبغ والمسكرات فقليل جداً بالنسبة الى الدخل

مكاتب المسلمين

«تابع ما قبله»

وهاك ما ذكره ابن نديم عن مجموع آخر من الكتب وهو تحقيق بالنظر والاعتبار قال محمد بن اسحق كان بمدينة الحديثة (مما يلي الموصل) رجل يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن ابي بكرة جماعة للكتب له خزانه لم أرَ لاحد مثلاً كثرة تحنوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والادب والكتب القديمة . فلقيت هذا الرجل دفعات فأنس بي وكان نفوراً ضئيلاً بما عنده خائفاً من بني حمدان فاخرج لي قطراً كبيراً فيه نحو ثلثماية رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصري وورق صيني وورق تهامي وجلود آدم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من اشعارهم وشيء من النحو والحكايات والاخبار والاسماء والانساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم . وذكر ان رجلاً من اهل الكوفة ذهب عني اسمه كان مشتهراً بجمع الخطوط القديمة وأنه لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقة كانت بينهما وافضل من محمد بن الحسين عليه ومجانسة المذهب فإنه كان شيعياً . فرأيتها وقلبتها فرأيت عجباً الا ان الزمان قد اخلقها وعمل فيها عملاً ادرسها واحرقها وكان على كل جزء او ورقة او مدرج توقيع بخطوط العلماء واحداً اثر واحد فذكر فيه خط من هو وتحت كل توقيع آخر خمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض . ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن ابي الهياج صاحب علي رضي الله عنه . ثم وصل هذا المصحف الى عبد الله بن حسان رحمه الله ورأيت فيها بخطوط الامامين الحسن والحسين . ورأيت عنده امانات وعهوداً بخط امير المؤمنين عليه السلام وبخط غيره من كتّاب النبي صلعم ومن خط العلماء في النحو واللغة مثل ابي عمرو اسحق بن العلاء وابي عمرو الشيباني والاصمعي وابن الاعرابي وسيبويه والنراء والكسائي ومن خطوط اصحاب الحديث مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري والاوزاعي وغيرهم

ورأيت ما يدل على ان النحوي عن ابي الاسود ما هذه حكايته وهي اربعة اوراق احسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمنعول من ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي وتحت هذا خط النضر بن شميل . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه فما سمعنا له خبراً ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه

[المقتطف . ذكر ما تقدم ابو الفرج محمد بن اسحق الوراق البغدادي المعروف بابن اسحق النديم في كتاب الفهرست الذي ألفه سنة ٣٧٧ للهجرة]

وذكر ياقوت الرحالة المشهور انه رأى في مرو أكثر من اثني عشر خزانة للكتب وهناك جمع أكثر ما ذكره في معجم البلدان وكان اصحاب الكتب لا يضمنون عليه بكتاب يستعيره منهم وكثيراً ما كان يبقى عنده مئتين من الكتب المستعارة

وقد اشترت قبلاً الى خزائن الكتب التي جمعها الحكم في الاندلس واقول الآن انه لم يفقها الا خزائن الكتب التي جمعها الخلفاء الفاطميون في القاهرة . وقد اختلف المؤرخون في عدد ما كان فيها من الكتب وهي مئة الف مجلد على اقل تقدير وكان فيها كرتان الواحدة قديمة جداً والثانية صنعها ابو الحسن لاسد الدولة

وسنة ٣٩٥ انشأ الخليفة الحاكم دار العلم المسماة ايضاً دار الحكمة وجمع اليها اعظم علماء العصر في كل فن وقطع لهم ٢٥٧٠ ديناراً في السنة نفقة

ثم تفرق الجانب الاكبر من هذه الكتب ايدي سبا وصارت تعطى للناس بدل رواتبهم [المقتطف . وقد اشار الكاتب بذلك الى ما ذكره المقرئ في خطه فربما ان ننقل كلام المقرئ بزمته اتماماً للفائدة قال نقلاً عن المسيحي " انه ذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد فامر خزائن دفاتره فاخرجوا من خزانته نيفاً وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن احمد . وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمئة دينار فامر العزيز الخزائن فاخرجوا من الخزانة ما ينيف على عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه . وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فاخرج من الخزانة مئة نسخة منها . وقال في كتاب الذخائر عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر اربعون خزانة من جملتها ثمانية عشر الف كتاب من العلوم القديمة قال وكنت بمصر في العشر الاول من محرم سنة ٤٦١ فرأيت فيها خمسة وعشرين جملاً موقرة كتباً محمولة الى دار الوزير ابي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت ان الوزير اخذها من خزائن القصر هو والخطير

ابن الموفق في الدين بايجاب وجبت لها عَمَّا يَسْتَحِقُّانِهِ وغلماهما من ديوان الحسينين وان حصّة الوزير منهما قوت عليه من جاري مماليكهم وغلمايه بخمسة آلاف دينار. وذكر لي من له خبرة بالكتب انها تبلغ أكثر من مئة الف دينار. ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه. هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار الى عماد الدولة ابي الفضل بن المحرق بالاسكندرية ثم انتقل بعد مقتله الى المغرب وسوى ما ظفرت به لوائه محمولاً مع ما صار اليه بالاتباع والغصب في بحر النيل الى الاسكندرية في سنة احدى وستين واربعمائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل في سائر الامصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التي اخذ جلودها عبيدهم واماؤهم يرسم عمل ما يلبسونه في ارجلهم واحرق ورقها تفاقولاً منهم انها خرجت من قصر السلطان اعز الله انصاره وان فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالاً باقية الى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب. وقال ابن الطوير خزانة الكتب كانت في احد مجالس المارستان اليوم يعني المارستان العتيق فيحيي الخليفة راكباً وترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليه من يتولاها وكان في ذلك الوقت الجليس بن عبد القوي فيحضر اليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فان عن له أخذ شيء منها اخذه ثم يعيده وتحوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بمواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من اصناف الكتب ما يزيد على مائتي الف كتاب من المجلدات ويسير من الجردات. فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجماء والروحانيات والكيمااء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التي ما تمت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على باب كل خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كابن البواب وغيره وتولى بيعها ابن صورة في ايام الملك الناصر صلاح الدين. فاذا اراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها. وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة وآخر فيعطي الشاهد عشرين ديناراً ويخرج الى غيرها. وقال ابن ابي طي بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها انه كان فيها الف ومائتا نسخة من تاريخ الطبري الى غير ذلك ويقال انها كانت تشتمل على الف وستائة الف كتاب

ومن المخطوطات المنسوبة اشياء كثيرة انتهى. ومما يؤيد ذلك ان القاضي الفاضل عبد الرحيم ابن علي لما انشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة الف كتاب مجلد. وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في مدة اعوام فلو كانت كلها مائة الف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء. وذكر ابن ابي واصل ان خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين الف مجلد " انتهى ما ذكره المقرئ [

وذكر المقرئ ابو المحاسن والنويري ان من جملة ما وجد في دار امين الدولة ابي يحيى السامري كتب ثمانية يبلغ عددها مئة الف مجلد وبعضها من خط امير النسخ. ولما توفي الامام نور الدين علي ابن جابر في القاهرة سنة ٧٢٥ وُجد في خزانه كتب ٦٠٠٠ مجلد والظاهر ان جانباً كبيراً من الكتب التي كانت في القاهرة حُمل الى الشام فوضع بعضه في طرابلس وحرقة الصليبيون لما فتحوها سنة ٥٠٢ للهجرة علي ما قاله مؤرخو العرب والبعض الآخر وضع في المدرسة الناصرية بدمشق التي بناها الملك الناصر يوسف الايوبي. وذكر النويري ان الملك الناصر بعث من جملة هدية الى الخليفة في بغداد ثلثة مجلد بديعة النسخ وقال ابن خلدون ان الوزير ابا الحسن علي بن يوسف القفطي جمع من الكتب ما لا يوصف فصد منها من الآفاق وكان لا يجب من الدنيا سواها واوصى بكتبه للناصر صاحب حلب وكانت تساوي خمسين الف دينار^(١)

وقال احمد العسقلاني المؤرخ عن محمد بن يعقوب الفيروزبادي مؤلف القاموس انه لم يكن يسافر الا ومعه اجمال كثيرة من الكتب. ومن الغريب ان افريقية لم تكن دون غيرها من ممالك الاسلام في الكتب والمكاتب فقد قال مؤرخ من اهالي القيروان ان قاضيا واسمه ابو الفضل احمد جمع كتباً بيعت بعد وفاته بالف دينار. ولما استولى الافرنج على سبته سنة ٨١٧ للهجرة حملوا منها كل ما وجدوه فيها حتى كتب العلم وكانت كثيرة

ومما يذكر بالاسف ان مؤرخي العرب لم يذكروا تاريخ المكاتب العربية وكل ما ذكره عنها جاء عَرَضاً في كلامهم على غيرها. وقد ذهبت هذه المكاتب ايدي سبا ولا سبيل لجمع ثملها الآن فان الفتن السياسية والحروب الاهلية والخصومات الدينية كل ذلك قلص ظل العمران وابعد العلم والعرفان عن معالم الاسلام. ولولا المغول الذين فاجأوا ممالك المسلمين كالسيل العرم واستباحوا محارمها وقوّضوا معالمها لبقيت من كنوزها العلمية بقية تذكر الى اليوم فانهم لما فتحوا بخارى وسمرقند غالوا في التخريب والتدمير فخرق ابن هولاء مدرسة مسعود

(١) (المقتطف) نقلنا ذلك عن ترجمته في قوافل الوفيات

بك في بخارى سنة ٦٧١ وكانت من اوسع دور العلم في ذلك العصر فالتهمت النار كتبها الكثيرة . ولما فتح هولاء مدينة حماه باع كتبها بالبخس الاثمان . واثبت ابن بطوطة ان التتار قتلوا في العراق اربعة وعشرين الفا من العلماء ولم ينج منهم الا اثنان

ولا بد لي قبل ختم هذه المقالة من ان اشير الى حالة العلم في الهند فاقول : ان المغول عادوا الى تعزيد العلم بعد ان تمهدت لهم الامصار ولم يلبثوا في ذلك شاو العرب في بغداد والقاهرة وقرطبة . فابناء جنكيز خان وتيمور لنك اعنقوا الاسلام ورفعوا منزلة علماءهم وتحت لوائهم نشأ نصير الدين الطوسي وقطب الدين الشيرازي وسعد الدين التفتازاني وغيرهم من المشاهير . وكان لدولة المغول في الهند اليد البيضاء في تعزيد العلوم والفنون . كان السلطان شاه جهان كثير المطالعة مغرمًا بالكتب واقتنى عادل شاه وقطب شاه صاحباً دكان خطي سلاطين المغول من حيث الاهتمام بالعلم ونقريب العلماء فنشأت مكاتب كثيرة في بلاد الهند ولكن لم يبق منها اثر بعد الفتنة لانها حُرقت او اخذت كتبها منها والقليل الذي بقي من كتب الهند بيع بثلث بخس . وليس في بلاد الهند الآن مكتبة عربية تقابل بمكاتب القاهرة او المدينة او القسطنطينية

وعسى ان لا انسب الى التباهي اذا اشرت الى المكتبة التي وهبتها لمدينة بطنان لان غرضي من ذكرها انما هو تنبيه المستشرقين اليها . وهذه المكتبة في كنف الحكومة الآن وهي تعني بحفظها شديد الاعناء ولكنها تبقى دون المراد حتى تضاف اليها مطبعة تطبع ما فيها من الكتب النادرة المثال وتنشرها على الملا . وقد كان المرحوم والذي شديد الغرام بالكتب وافق على جمعها واستنساخها اكثر دخله فبلغ عددها حين وفاته ١٤٠٠ مجلد . ولما حضرته الوفاة اوصاني بها وامرني ان اجعلها مكتبة عمومية حالما استطع ذلك وقد ورثت منه محبة جمع الكتب وجمعت كثيراً منها بعد وفاته وفتحتها للجمهور سنة ١٨٩١ وكان فيها حينئذ سبعة الاف مجلد من كتب الخط . وعدد كتب الخط فيها الآن ثمانية آلاف وفيها ايضاً نخبة كبيرة من الكتب الانكليزية العلمية والادبية

وفي هذه المكتبة كثير من كتب مشاهير المستشرقين مثل ده صافي والسرغور اوزلي والمستر بلتشان من مدرسة كلكتا وعلى بعضها حواش بخطهم

اشرت سابقاً الى ما حل بالكتب العربية في زمن الفتن السياسية والحروب الصليبية ولذلك قلت الكتب التي اُلفت بين القرن الثاني والسابع للهجرة وما يوجد من الكتب العربية الآن مؤلف اكثره بين اواسط القرن السابع وواخر القرن الحادي عشر للهجرة . ولكنني توفقت الى جمع كتب قديمة في الفلك والجراحة والطب والفلسفة والتعاليم واكثرها مخطوط باقلام اناس

من المشاهير . وقد وصفت هذه الكتب بالاسهاب في المجلد الاول من الفهرست الذي طبعته . من ذلك كتاب خط الزهراوي في الجراحة تاريخه سنة ٥٨٤ للهجرة وفيه صور الآلات الجراحية مصورة بالانقان التام ويستدل منها على ان بعضها كان مثل الآلات الجراحية التي يظن انها اخترعت منذ عهد قريب . ومنها كتاب ديوسقوريدس في النباتات الطبية الذي ترجمه العرب في زمن هرون الرشيد . والنسخة التي عندي هي نفس النسخة التي وضعها جلال الدين شروان شاه في صيدلية شيراز منذ ستمائة سنة . وفي المكتبة كتب كثيرة ألفها علماء العرب في هذا الموضوع بانين اياها على كتاب ديوسقوريدس . وفيها ايضاً كتاب قديم جداً من كتب ثابت بن قرة وشيخ من كتب نصير الدين الفارابي وعبد الرحيم البيروني . وقال لي احد مشاهير المستشرقين ان النسخة التي عندنا من شرح المعلقات للخماسة اصح من النسخ التي في مكاتب اوربا . وفيها كتب كثيرة من كتب سلاطين دهلي واكثر من اربع مئة ديوان من دواوين الشعر وبعضها مكتوب بخط بدیع مذهب

وفيها كثير من كتب الدين كالحديث والفقه والاصول والتفسير وعليها توابع كثيرين من مشاهير المؤلفين كالسبكي والذهبي وابن حجر . وتاريخ الهند كتبه كثيرون من الكتاب المسلمين وترجمات سلاطين المغول

هذه الكتب نادرة المثال واذا لم تبذل العناية بحفظها فقدت في نصف قرن وعلى المتولين امر هذه المكتبة الآن ان يهتموا بتنقيح هذه الكتب وطبعها . وعسى ان تهتم حكومة الهند بطبع كتب الادب والتاريخ المهمة ونشرها بدلاً من تركها مدفونة في زوايا المكاتب فانها اذا فعلت ذلك افادت الجمهور باذاعتها كتباً يود الكثيرون الوقوف عليها

واذا التفتنا الى ما يحق الآن بالمسلمين من ليل الجهل الدامس رأينا تاريخ المعارف التي كان لهم فيها القدر المعلى رواية بدیعة لا يكاد يرجى عودها . ولكن على المرء ان يطرق باب الامل . فلنرج ان فجر المعارف قد دنا والامل بحسن المآل ليس بعيداً وان المسلمين الذين استيقظوا الآن من سباتهم وراوا ان لابد لهم من مجارة الامم التي سبقتهم في العمران سيخزون قصب السبق في العلم والعمل

(المقتطف . لقد تمكنا من رد بعض ما اقتبس الكاتب الى اصله العربي ولم نتمكن من رد البعض الآخر واضطررنا ان نتصرف قليلاً في بعض ما ذكره مراعاة للفرق بين اللغتين)

بَابُ الْمُنَظَرِ

قد رأينا بعد الاختيار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتحشيداً للاذهان .
ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براءاً منه كلاً . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في
الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فهناظر كـ نظيرك (٢) انما
الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيمها كان المعترف باغلاطه اعظم
(٣) خبر الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الاميجاز تستغنى عن المطولة

الانذار بثوران البراكين

حضرات استاذي الفاضلين منشئي المقتطف الاغفر
ان فاجعة المارتنيك المؤثرة جعلتني افكر كثيراً في هل كان ممكناً ان يدرأ بعض ذلك
الخطب المؤلم بمعرفة انفجار بركان ييلي قبل حدوثه بايام ريثما يهرب السكان المجاورون فيسلمون
من شره . فنتيجة افتكاري جعلتني اعتقد بان ذلك ممكن وها انا اعرض لديكم سبب اعتقادي
هذا لكي تنشروه في المقتطف لعله لا يخلو من فائدة
ان من تأمل في اسباب الزلازل وكيفية حركتها مع كيفية وقوف تلك الحركة يمكنه ان
يستنتج ان ثوران البراكين العظيم لا يكون الا نتيجة الزلازل ويمكنه ان يعرف اي الزلازل
يعقبها هذا الثوران فيندر به قبل حدوثه بايام ولا يضاع ذلك اقول
الشائع عن العلماء المحققين ان باطن الارض جامد وان يكن صائراً الى درجة تجعله
سائلاً ولكن هذا الجهد حاصل من ضغط قشرة الارض الباردة على ذلك الباطن السائل فعلى
فرض صحة قولهم يكون جموده حاصلًا فعلاً على انه هو سائل حكماً . ولو فرضنا ان باطن
الارض جامد ابدًا فلا يمكننا ان نتصور ان قشرة الارض تتحرك عليه اذ يكون اساسها صخراً
فلا تنزّل ولكن اذا فرضنا انه سائل فقد تتحرك قطعة منها على وجهه كما تتحرك سفينة على
الماء . ثم ان جمود باطن الارض حاصل من شدة ضغط ثقل القشرة الباردة عليه فلو فرضنا
ان ذلك الضغط خفّ عما هو عليه الى حدّ تحول باطن الارض حالاً الى سائل فعلاً
تعليل الزلازل — ان باطن الارض آخذ بالتبرّد بسبب الاشعاع وبالاكثر بسبب
التنفّس من البراكين وبالنتيجة هو آخذ بالتقلص فلو فرضنا ان قطعة من قشرة الارض مساحتها

عشرة آلاف ميل مربع حاوية بركاناً او براكين عاملة فيمبات او بعشرات من السنين تنقص حرارة القسم الذي تحتها من باطن الارض بسبب التنفس نقصاً يؤثر في حجمه فيصغر عما كان ونقل إذ ذاك مقاومته لقشرة الارض فينقص ضغطها عليه فيسيل. وكان من الضروري ان تدرج تلك القطعة من القشرة في الهبوط تدريجاً ما تحتها بالتبرّد والتقلص بحيث يبقى ثقلها وقوة مقاومته لها متساويين تماماً ولكن بما انها مسكة من محيطها بالتحامها بما يجاورها من اجزاء القشرة فلا تهبط الا اذا اصبح الفرق بين ثقلها ومقاومة ما تحتها كافياً لكسر ملتحمها وفصلها عما حولها فتهبط اذ ذاك وتترجج على وجه السائل الذي تحتها وهذا الترجج هو الزلزلة

تعليل تنوع حركة الزلازل — فاذا تم انفصالها من كل محيطها دفعة واحدة هبطت كلها باتفاق جميع اجزائها في الهبوط معاً في وقت واحد وبقوة الاستمرار مع قوة مقاومة السائل لها تصعد وتهبط عدة مرات مترججة كترجج كرة خشبية وضعت على وجه الماء واخيراً تنفث وهذه هي الزلزلة ذات الحركة العمودية. ولكن اذا انفصل احد جوانبها اولاً ثم تلا ذلك انفصال الجانبين المواليين له ثم انفصال الجانب المقابل هبط اولاً الجانب الذي انفصل اولاً ثم صعد وهبط الجانب المقابل له ثم صعد هذا وهبط ذاك وهكذا تكرر هذه الحركة الميزانية الى ان تنفث وهذه هي الزلزلة ذات الحركة الموجية الافقية. او اذا ابتداء الانفصال من نقطة في محيط القطعة المذكورة وتقدم في محيطها الى جهة واحدة حتى ينتهي حيث ابتداء فيسير الهبوط تابعاً له جارياً وراءه في دائرة ويتلو هذا الارتفاع جارياً في ذات الدائرة وهذه هي الزلزلة ذات الحركة الرحوية

ما ذا ينتج عن كل من انواع الزلازل الثلاث : — ان النوع الثاني من الزلازل افعالها في تقويض المنازل ودك الرواسي فاذا تصوّر القارئ حركتها الغربالية يفهم جيداً كيف تنسف الابنية. ويتلوها في كثرة التدمير النوع الثالث اي ذات الحركة الرحوية واما النوع الاول فقلما يهدم الابنية ولكن هو الذي يعقبه ثوران البراكين الجهنمي مثل ثوران بيلي ويزوف او يصحبه الانفجار الهائل مثل انفجار كركاتوى الذي اشرتم اليه في الصفحة ٥٧٥ من مقتطف هذه السنة التعليل — ان القطعة المتزلزلة بحركة عمودية اما ان تستقر على الحد الذي يتوازن عنده ثقلها ومقاومة الباطن لها او تستقر على اعلى منه قليلاً وفي هاتين الحالتين لا يعقب الزلزلة ثوران بركاني لان باطن الارض يكون حينئذ غير منضغط ولا تنفث على احدى هاتين الحالتين الا اذا انتهت الزلزلة بانتهاء الحركة الصاعدة. واما ان تستقر على اوطأ من حد التوازن المذكور بقليل وذلك لا يحدث الا اذا وقفت الزلزلة عند انتهاء الحركة النازلة وذلك لان تجاوزها ذلك

الحد الى الاسفل بقوة الاستمرار اذ يكون قليلاً واذ تندفع المواد السائلة في ثلم الانفصال على محيط القطعة بسبب انضغاطها فتبرد تلك المواد حالاً لملامستها الاجزاء الباردة وتجمد فتلتحم بها القطعة الهابطة بالاجزاء الثابتة من قشرة الارض المحيطة بها واذ يكون تغلب قوة دفع الباطن على ثقل القطعة الهابطة قليلاً فلا يكفي لفصل ذلك اللحام فتقف حركة الزلزلة وباطن الارض منضغط بزيادة فتندفع مواده من افواه البراكين لكنها لا تظهر من فم البركان حالاً بعد الزلزلة بل تتأخر بعض ايام وذلك بسبب برودة قسبة البركان فانها تجمد السائل حال مرورهم في اسفلها فيسدها ثم يعود فيسيل بسبب حرارة السائل الذي يزاحمه من الاسفل فيصعد مسافة أخرى ثم يجمد ايضاً وهكذا يتكرر الجمود فالسيولة في مقدمة المواد المندفعة في قسبة البركان الى ان تصل الى فيه مصحوبةً باصوات الزفير البركاني ومتى حميت القسبة كلها تدفقت المواد ووصلت الاراضي المجاورة . فبين حدوث الزلزلة وانبثاق مقدوفات البركان لا بد من مدة تختلف طولاً باختلاف حالة قسبة ذلك البركان كما حدث في ثوران ييلي وسوفرير فانه وان كان تحديدها غير ممكن لكنها يغلب ان تكون اياماً كافية لهرب الناس المجاورين

اما سبب انفجار جزيرة كراكاتوى فهو زلزلة عظيمة من النوع الاول اي من ذات الحركة العمودية وكانت خطراتها طويلة المدى اي كانت تعملو كثيراً وتهدد كثيراً وفي احدى حركاتها النازلة اذ تجاوزت القطعة المنزلزلة حد الثوران بزيادة الى الاسفل بقوة الاستمرار ضغطت على سوائل باطن الارض بشدة عظيمة وهذه السوائل ضغطت على الوجه السفلي لقشرة الارض الثابتة المجاورة للقطعة المنزلزلة واذ كان ثلثا الجزيرة الذي انقلب غير مشترك بالزلزلة وكان متصدعاً من قوة الارتجاج فسهل انفصاله عمماً حوله فانفصل بقوة دفع السائل له من الاسفل وطار في الجو

الانذار — فبناءً على ما تقدم يمكن الانذار بهيئان البراكين قبل حدوثه بايام اي بحال وقوف الزلزلة التي تكون سبباً له وذلك بان يكون في مجاورة البراكين مرصد للزلازل تحتوي على آلات تدل بدقة على حدوث الزلازل وعلى نوع حركاتها وعلى جهة الحركة الاخيرة اذا كانت الزلزلة من النوع الاول وهذا هو الاهم وعلى مقدار انخفاض الارض الذي ينتج عن الزلزلة فاذا حدثت زلزلة حينئذٍ وعلم انها وقفت على الحركة النازلة فانذر بثوران بركاني عقبها . وما يؤكد ذلك تحقيق انخفاض الارض بالزلزلة ويزيد التأكيد تأكيداً كبيراً سماع اصوات الزفير كما

الدمكتور

ابراهيم الصليبي

سمع قبل ثوران ييلي

نابلس

الوهابية

من صالح بن دخيل بن جاد الله النجدي الى جناب منشئي المقتطف سلام على من اتبع الهدى وجانب طرق الغي والردى . وموجب تحريره . اني وقفت على ما جاء في مقتطفكم في المجلد السابع والعشرين في الجزء الثالث ١٩٠٢ عن مقالة القس الدكتور زويمر التي تليت في جمعية فيكتوريا الفلسفية في اصل الوهابية وتاريخهم وعقائدهم واضطرايه في ذلك فاحببت ان ابنه على مقالته . فاما اصل الوهابية فنسبتهم لوالد صاحب الدعوة النجدية العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لقبه . واتباعه بذلك بعض معاصريه بغياً وحسداً ليعمي على الجهال انهم مبتدعة ضالون ليستوحش السالك على اثرهم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون . وتركوا نسبتهم لاسم الشيخ نفسه حيث يكونون محمدي فيحصل لهم نوع تشريف لمشاركة اسم النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه

وقد ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هجرية ودخل البصرة والشام والحجاز واخذ عن مشايخها واجازوه ثم رجع الى نجد وظهر دعوته وكان قبل ذلك قد عرض كتاب التوحيد وكشف الشبهات على جملة من مشايخه فوافقوه الا انهم لا طاقة لهم بالدعوة حيث تحتاج الى كلفة . وهذه الدعوة مشتملة على توحيد الله واسمائيه وصفاته . فاهل الفرقة الناجية ومن تبعهم مثل الشيخ واتباعه يثبتون لله ذاتاً لا تشبه الذوات وصفات لا تشبه الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل مشتملة على توحيد الالهية والعبادة . وقد حصلت الخصومة بينه وبين معاصريه من المنتسبين للعلم في هذا القسم عناداً وحسداً فرموه بالافك والبهتان ونسبوا له اشياء ما عندهم من الله فيها برهان . وهذا النوع المذكور هو افراد الله وحده بانواع العبادة قولاً وفعلًا وذلك مثل الدعاء والذبح والاستعانة والاستغاثة والخوف والرجاء والذل والرهبة والانابة والخشوع والرغبة والخشية والتوكل وغير ذلك كله لله وحده . ومن ذلك الشفاعة لا تطلب الا من الله ولا تكون الا باذنه ولا يأذن الا لمن رضي قوله وعمله ولا يرضى من ذلك الا بما امر بشرعه لا بالاھواء والبدع ولا يرضى الا ما كان خالصاً لله وحده صواباً وهو ما شرعه على لسان رسوله . وادلة ذلك مبسطة مقررة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل كل وصحبه اجمعين

وقوله يسمى اصحابها انفسهم اهل الحديث الى آخره فكل يدعي انه من اهل الفرقة الناجية المذكورة في الحديث الا في ذكره ولكن ذلك له ميزان وهو الاتباع وترك الابتداع .

قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية . وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الى ان قال فآمنوا بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون . وقال ما اناكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وقال صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة قالوا وما هي قال ما انا عليه اليوم واصحابي . وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الى آخر الحديث

وقوله انه لقي واحداً الى آخره . فمن المعلوم ان اهل نجد وهابية حنابلة المذهب فامامهم الامام احمد وكذلك كل ما ينتسب الى السنة ينتسب الى الامام احمد فهو امام اهل السنة على الاطلاق . وقوله وهذا شأن الامام عبد الله ابن ابي بكر بن قيم الجوزية فانه يقول انه حنبلي ولا يقول انه وهابي فهذا وهم منه لعدم وقوفه على تاريخهم ومذهبهم فان ابن القيم وجد في القرن السابع وتوفي في الثامن وابن عبد الوهاب وجد في الثاني عشر ولما كان كل من امر بسنة ونهى عن بدعة يسمى وهابياً دخل عليه هذا الوهم من هذا الوجه لان ابن القيم وشيخه ابن تيمية كثيراً ما كانا ينتصران لاقامة السنة وترك البدعة فظن ان من كان كذلك فهو وهابي تقدم او تأخر . ومن هذا اضطرب الناس في الوهابية اضطراباً شديداً لعدم تحقيق احوالهم فالتاس فيهم ما بين قاذح ومادح فمنهم من جعلهم كالروافض والخوارج والباينة والحق انهم متبعون للسنة لا غالون ولا جافون حتى اني اجتمعت بكثير من مثل هؤلاء بالشام ومصر والعراق سنة ١٣١٨ وبنيت مأخذهم ومعتقدهم ومذاهبهم فاذعنوا لذلك ووافقوا عليه وقالوا انه الحق وطلبوا كتاباً يطبع من تأليفهم يزيل ما لبس على كثير منهم فان بعض السيّاح يجهل حقيقة حالهم . ولا عبرة ببعض العوام الجهال فانه قد يفرط منهم بعض افراط فيجعل الخضم حجة له فان الحق لا يخفى على المنصف . فطبع في اواخر رجب سنة ١٣١٩ كتاب توضيح توحيد الاخلاق في جواب اهل العراق وتذكرة اولي الالباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فانتشر في الافاق وتلقاه اهل الانصاف بالقبول والوافق لانه كتاب وحيد في فيه يحناج اليه المبتدي ولا يستغني عنه المنتهي وحقيق ان تشد اليه الرواحل وتقطع دون الوصول اليه المنازل ولم اكن اطلعت على مقالة هذا القس في مصر ولكن قبل هذه الايام ببغداد فحرت الى وكيلنا البابي الحلبي بمصر ان يدفع اليكم نسخة منه كي تقفوا على الحقيقة وتحذروا في مقتطفكم ما ترون من ذلك لان مقتطفكم هو الخطيب شرقاً وغرباً حيث لا يحكي الا ما صحّ لديه [المقتطف]

نشرنا هذه الرسالة قياماً بالواجب ولكننا نعتذر الى حضرة الكاتب الفاضل

عن ابداء رأينا في مسألة ليست من موضوع المقتطف على اننا نقول قولاً عاماً ان نشر العلوم التي تنير الازهان خير وسيلة لاصلاح العقائد الدينية ونزع ما تطرق اليها من الشوائب

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفة من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الزوج والزوجة

حينما يشرع الشاب يفكر في الزواج يتصور صوراً يطلب وجودها في زوجته من حيث جمال وجهها واعندال قوامها ولون شعرها ومقدار معارفها ومقام اهلها . هذا اذا كان على شيء من التهذيب والافاضة لان العادة تقضي بذلك اولان اباه وامه حثاه على الزواج فيسير فيه على غير هدى

وغني عن البيان انه لا يهنا عيش الزوج الا اذا احسن اختيار زوجته لا لان الزوجة الفاضلة تصلح الزوج بل لان الزوجة السليطة تنغص عيشه . وكل بلية اخف من بلية زوج امراته سليطة تخاصمه ويخاصمها دوماً

والشاب الذي يتطلب هناء العيش يجب عليه ان ينظر اولاً الى الحسن الداخلي لا الى الحسن الخارجي الى حسن الطباع لا الى حسن الوجه لا لان حسن الوجه امر طفيف لا يعبا به فان الحسن حسن كيفما كان وله مقدار ومقام في النفوس بل لان المرأة الذكية العقل الذكية الفؤاد الطاهرة النفس السامية المطالب المترفة عن الدنيا لا يمكن ان يستقيم الانسان منظرها ولو لم يكن فيها لمحة من الجمال لان نفسها الجميلة تجمل منظر وجهها وتفيض عليه اجمل المعاني . والحسن كالحب لا يخفى وفي الوجه تظهر كل عاطفة شريفة من عواطف النفس ويبدو كل معنى جميل من معاني العقل فاذا كان الوجه جميلاً شكلاً ولوناً زاد بهذه المعاني جمالاً واذا لم يكن جميلاً افاضت عليه جمالاً معنوياً ترتاح اليه النفس كما ترتاح الى الجمال الحسي ولا سيما اذا بدت المعاني يستعذب الالفاظ فان هذا الجمال المعنوي يبقى بعد ان يزول الجمال الحسي بالمرض او بالشيخوخة ويزيد نمواً وريعاناً كما يزيد الحب في النفس

ثم ان للزواج شرائط حتى يكون موفقاً هنيئاً الحب اولها ولا بد منه ولكنه لا يكفي وحده لهناء المعيشة . ويساويه او يفوقه اتفاق الطباع او اتفاق العقول والمشارب فاذا كان عقل الزوج والزوجة هذيين في نوع واحد من التهذيب ومدريين على النظر في المسائل على اسلوب واحد اتفقا اتفاقاً يفوق اتفاق الحب واذا كان الحب موجوداً مع هذا الاتفاق كان الهناء على اتمه من هذا القبيل

والقاعدة التي يصح اتباعها فيقل وقوع الخطأ هي ان يتزوج المرء من الذين من طبقته في المقام والتهذيب فاذا كانت الفتاة من قوم ذوي وجهة وريبت تربية الرفاهة وتهذبت في المدارس العالية وعاشت على القوم ثم تزوجت بشاب ليس من طبقته ولا هو متهذب مثلها تنقص عيشها معه وعيشه معها لانهما يختلفان كل يوم في امور طفيفة او جسيمة اخلافاً يضعف لذة الحب الاول الى ان يزيلها وقد لا تعباً الزوجة بذلك في اول الامر كبراً منها او تغلباً على طبعها ولكن القوة العصبية التي تبذلها في سبيل هذا التغلب تجعلها بعد زمن ضعيفة الاعصاب عاضة على كف الندم

ومن شرائط الزواج التي لا بد من مراعاتها ولو لم تكن لازمة له مثل الحب الحالة المالية . نعم ان الحب اسمى من ان تمسه الاعراض ولكن مقر الحب في الجسد والجسد لا يعيش بالحب بل لا بد له من طعام وشراب وكساء واواء ولا يمكن ان يتجرد عن حطام الدنيا ما دنا فيها . فالشاب الخالي الوطاب الذي لا يملك شيئاً لا يستحق ان يتزوج لانه اذا كانت الفتاة التي يطلب التزوج بها غنية عاش معها ذليلاً واذا كانت فقيرة عاشا كلاهما ذليلين واذا كانت تحبه حقيقة وتريد الاقتران به لا يصعب عليها انتظاره ولا يصعب عليه ان يعمل عملاً يكتسب منه ما يمكنه من اعاليتها اذا كان يحبها حقيقة وحينئذ يقترن بها شاعراً من نفسه انه صار كفاً لها . واذا لم تنتظره فذلك دليل على انها لا تستحق ان يعنى بامرها وببذل جهده في ارضائها والرجل قيم على المرأة اي انه يمونها ويقوم بشأنها وهو يشعر من نفسه ان ذلك واجب عليه مطلوب منه ويسر بالقيام به . وهذا الشعور من اشرف ما يشعر به الرجل . وكما تتفخر المرأة بلطفها ودعتها يتفخر الرجل بقوته وقدرته على العمل والكسب . ويسره ان زوجته محتاجة اليه معتمدة عليه تنتظر منه مسرتها وحمايتها واعالتها . وقيامه بذلك كله هو الشيء الذي تتطلبه فيه . ومهما قويت الزوجة تبقى تود ان يكون زوجها اقوى منها واقدر . واعتماد الزوجة على الزوج خلق مغروس في كل النساء يزيد بزيادة خلق النساء فيها وخلق الرجال في زوجها اي ان اكمل النساء هي المعتمدة على زوجها واكمل الرجال هو القائم بما تحتاج اليه زوجته

والمرأة الكاملة تقصر معيشتها على دخل زوجها والرجل الكامل يجعل دخله كافياً لراحة زوجته . وهذا سبب آخر يدعو الى جعل الرجل يحنار زوجته من اهل طبقته الا اذا كانت الزوجة غنية جداً و ارادت ان تسلم ثروتها لزوجها للاتفاق على ما لا يستطيع الاتفاق عليه من عنده ولا تتم للزوجين راحة ولا يهنأ لها عيش الا اذا نظرا الى الوجه المالى نظر الحكيم المدبر لان الجسم لا يشبع من الحب وآلة الحياة لا تسير من غير قوة تسيرها وزيت يمنع احشاك دقائقها

غسل الموزلين والكمبريك

لا بد من الاعناء في غسل الموزلين لكي لا يزول لونه ولا تفتح خيوطه . وطريقة ذلك ان تسخن الماء الى درجة معتدلة الحرارة لان الحرارة الشديدة تلتف الالوان . وتذيب في الماء قليلاً من الصابون حتى يصير يرغى جيداً . ثم تنفض ثياب الموزلين من الغبار وتضعها في الماء بعد ان تحركه جيداً حتى تكثر رغوة الصابون فيه وتدعه دكاً ولكن لا تفركه فركاً لان الفرك يبعد الخيوط من جهة ويقربها من اخرى فيتلف منظر الموزلين . وبعد ذلك اغسله مرتين في ماء فاتر بدون صابون ثم في ماء بارد . واذا نفّض اللون قليلاً في الماء الساخن فاضف الى الماء البارد ملعقة كبيرة من الخل الى كل اربع اقات من الماء . واذا كان اللون يجل في الماء فاضف اليه ملحاً ملعقة كبيرة الى كل اربع اقات من الماء

واذا غسلت الكمبريك الالبيض فضعه بعد غسله في ماء بارد اذبت فيه قليلاً من النيلة ولا بد من تحريك الماء جيداً قبل وضع الكمبريك فيه لئلا ترسب النيلة في اسفل الاناء فتلتصق الكمبريك تلطيخاً ثم يعصر الكمبريك ويطوى وينشئ ويكوى

ويحضّر النشاء له هكذا : تمزج ملعقة كبيرة منه بملعقتين من الماء ونصف ملعقة من البورق وقليل من الشمع الالبيض الشفاف الذي قطع حتى صار قشوراً رقيقة ثم يضاف الى هذا المزيج رطل من الماء الغالي وهو يحرك جيداً فيشتد قوام النشاء ويصير شفافاً ثم يمزج ذلك برطلين ونصف من الماء ايضاً ويوضع الموزلين فيه ويعصر وينفض حتى يقع عنه ما يمكن ان يكون قد اجتمع عليه من النشاء ويكوى وهو رطب قبلما يجف

ولا بد من ان يكون اسفل المكواة نظيفاً صقيلاً لأمعاً واذا اصابه شيء من الصدأ يمسح بقليل من البارافين ومسحوق السبازج الناعم . واذا لم تكن المكواة نظيفة نظافة تامة ابقث اثر الصدأ في ما يكوى بها ولا بد من غسل المكاي بالماء الساخن والصابون مرة كل

اسبوع ولو كانت تستعمل دائماً وتفرك بعد احماؤها على ورقة ثخينة رُش عليها قليل من مسحوق الخرف . ويجب ان لا تكون حرارتها شديدة حينما يكوى بها الموزلن والا تلف لونه ويكوى الموزلين والكبريك على وجهيهما ما لم يكن على الوجه تطريز نافر فيكويان على قفاها

الاغتسال في البحر

لا يزال الناس قرب الشواطىء البحرية يقضون ما بقي من فصل الصيف في الاغتسال او ما يسمى بالحمامات البحرية . وخير الاوقات لهذا الاستحمام الصباح لانه يغني المرء عن لبس ثيابه وخلعها ثم لبسها ثانية . ولا بد للمستحم من ان يأكل شيئاً قليلاً قبلما يغتسل . ولا يجوز الاستحمام والجسم سخن او متعب او متهيج تهيجاً عصبياً . ولا يجوز بعد الطعام الثقيل باقل من ساعتين . والذين تؤلمهم آذانهم وقت الاستحمام يجب ان يسدوها جيداً بالقطن قبلما ينزلون في الماء واذا تبلل الشعر بماء البحر وجب غسله بعدئذ بماء نقي فاتر . واذا لم ترتد الحرارة الى الجسم سريعاً بعد الاستحمام فذلك دليل على ان الاستحمام غير نافع او لا يخلو من الضرر فيجب ابطاله

واجبات الزوجة وقت الكوليرا

اول واجب على ربة البيت في هذا الوقت الذي انتشرت فيه الكوليرا في كل انحاء القطر ان تهتم بنقاوة ماء الشرب . ففي البلاد التي ليس فيها شركات توزع المياه على البيوت يجب استقاء الماء من اكبر الترع واكثرها جرياناً ومن وسط التربة قبل مرورها في البلد ثم يغلى هذا الماء ويرش في زير نظيف موضوع في مكان نظيف . واما التي فيها شركات توزع الماء فالترشيع برشع باستور او بالزير البلدي يكفي . ودفعاً لكل شبهة يغلى الماء قبل ترشيحه ويحسن ان يضاف الى الماء وقت شربه قليل من عصير الليمون الحامض (المالح) لمساعدة حموضة المعدة

ويجب ان تعتني بالخبز بعد الاعناء بالماء فتسخنه على النار قبل اكله وكذلك بكل اصناف الطعام فلا تؤكل الا بعد طبخها او تسخينها او غسلها بماء سخن ولا بد من ان تهتم بصحة اولادها وتمنعهم من اكل كل ما يضعف المعدة او يجلب الاسهال واذا اصابهم سوء هضم او شيء من الاسهال او القيء فعليها ان تخبر الطبيب بذلك حالاً

ثم انه لا داعي للخوف الشديد فان الذين يموتون بالكوليرا الآن في هذا القطر ليسوا اكثر من الذين يموتون فيه بالحميات المعدية كالتييفوس والتيفويد والحمى الملارية وباساليب الاسهال المختلفة كالدوسنتاريا . والذين كانوا يموتون بالامراض المعدية والمعوية التي تسبب اسهالا كانوا دائماً من ثلاثين الى اربعين في المئة من كل الذين يموتون في اشهر الصيف من يونيو الى سبتمبر والذين يموتون بالكوليرا الآن ليسوا اكثر من اربعين في المئة من الذين يموتون عادة . ومن المحتمل ان بعض الذين يحسب الآن انهم ماتوا بالكوليرا انما ماتوا بمرض معدى او معوي عادي وذلك كله دليل على ان هذه الكوليرا غير فتاكة او ان التوقي منها افاد الفائدة المطلوبة

الرياضة بتغيير العمل

يراد بالرياضة عادة ترويض الجسم بالمشي والركض والحركات العضلية . ولكن اذا اريد بالرياضة ما يفعله الانسان في الفسحة التي يأخذها للراحة من عناء الاعمال فقد تكون حركات عضلية كالمشي والركض والركوب وما اشبه وقد تكون جلوساً وانقطاعاً عن الحركة على قدر الامكان وذلك حسب نوع العمل الذي يعمله الانسان . فالذين عملهم يقتضي الجلوس المستمر تكون رياضتهم بالحركة على انواعها من مشي وركض وركوب وما اشبه والذين اعمالهم تقتضي الحركات الكثيرة تكون رياضتهم بالجلوس والسكون حتى تستريح عضلاتهم وهذا الحكم يصدق على العقل كما يصدق على البدن . فالذين اشغالهم عقلية متعبة يجب ان ينقطعوا عن الاشغال العقلية في زمن الفسحة والرياضة والذين اشغالهم بدنية ولا يشتغلون اشغالا عقلية يجب ان يروضوا عقولهم بالدرس والمطالعة ويريحوا ابدانهم

علاج الهبرية (القشرة)

علاج القشرة التي تكون في الراس اما منعي واما شفاي وهو في الحالين اوقية من البورق تذاب في اثنتي عشرة اوقية من الماء فاذا اريد العلاج المنعي يفرك الراس بهذا السائل مرة في الاسبوع واذا اريد الشفاي يفرك به مرتين في اليوم . واذا كانت القشرة كثيرة جداً ولم تنزل بهذا العلاج يستعمل لها علاج آخر وهو مذوب نصف اوقية من الغليسرين في رطل من من الماء يغسل به الرأس جيداً مرة كل يوم

باب الصناعة

بعض الامزجة المعدنية الصناعية

معدن بدر

يصنع الهنود مزيجاً معدنياً في مدينة بدر بقرب حيدر اباد لونه بين الفضة والزنك لا يتلف بالتعرض للهواء او للرطوبة وهو شديد الصلابة يصنع من ٣١ جزءاً من الزنك وجزئين من النحاس وجزئين من الرصاص تصهر معاً تحت مزيج من القلقونة وشمع العسل لكي لا يتأكسد سطحها

النحاس الابيض

لذلك تراكيب كثيرة اشهرها ما يأتي

- الاول رصاص ٧٠ جزءاً انثيمون ٢٠ جزءاً نحاس ١٠ اجزاء
- الثاني زنك ٨٢ جزءاً انثيمون ١١ جزءاً نحاس ٧ اجزاء
- الثالث رصاص ٤٢ ١/٢ جزءاً زنك ٤٢ ١/٢ انثيمون ١٥ جزءاً
- الرابع رصاص ٣٧ ١/٢ جزءاً قصدير ٣٧ ١/٢ انثيمون ٢٥ جزءاً
- الخامس قصدير ٦٦٧ جزءاً انثيمون ١١١ نحاس ٢٢٢
- السادس قصدير ٩٠ جزءاً انثيمون ٧ اجزاء نحاس ٣ اجزاء

تبييض الحديد الزهر

يبيض الحديد الزهر (اي الحديد المصبوب صلباً) هكذا : ينظف أولاً من كل ما يكون لاصقاً به من الرمل والصدأ ثم يوضع في الحامض الهيدروكلوريك الخفيف حتى ينظف سطحه جيداً . ويحسن ان يستعمل الحامض بادخال البخار الساخن اليه فيسرع فعله واذا بقي على الحديد بقع سود تزال عنه بمقشطة من السلك ويرد الى السائل الى ان ينظف جيداً ثم يغسل بالماء النقي ويترك في الماء الى حين تبيضه لانه ما دام تحت الماء النقي لا يصدأ . وقبل تبيضه بالقصدير يدهن بسائل فيه اربعة اجزاء من مذوب ملح النشادر مذابة في جزء من الحامض

المورياتيك . ويصهر القصدير الجيد في اناء من الحديد ولا تزداد الحرارة عليه لئلا يحترق . وينظف من الشوائب حينما يصهر بان يوضع عود اخضر فيه ويمسك من اعلاه بشيء ويبقيه في القصدير المصهور مدة ساعة او ساعتين بحسب ما فيه من الشوائب . ويزال الزبد عن وجه القصدير مرة بعد أخرى ويمكن ان يوقى سطحه المصهور من الاكسدة بتغطيته بملح النشادر او بالشحم او زيت النخل . ويمسك الحديد بملقط ويغطس فيه ويترك مدة الى ان يكتسي سطحه قشرة من القصدير . ويجب ان لا تكون حرارة القصدير شديدة لانها اذا كانت شديدة اكمل لونه على الحديد حينما يخرج منه . ويحسن ان يكون هناك اناء آخر فيه شحم او زيت نخل على النار فيوضع الحديد فيه بعد نزعهِ من اناء القصدير فتنبسط قشرة القصدير عليه اذا لم تكن منبسطة على السواء ويقع عنه ما ربما يكون زائداً عليه من القصدير . وينظف الحديد من الشحم او الزيت بفركه بنشارة الخشب ثم بالنخالة

الصناعة السورية

كتب الينا شاب سوري من الذين هاجروا الى اميركا يعترض على المدارس الصناعية المنشأة في سورية لانها لا تعلم تلامذتها العلوم الطبيعية والكياوية التي تبني الصناعة عليها حتى يخرج التلميذ عالماً المبادئ التي تبني الصناعة عليها مستنيراً عقله قادراً على الاستنباط في صناعته . وكأنه قابل بين حال الصناع في بلادنا وحالهم في اميركا وحال المدارس الصناعية عندنا وحالها في تلك البلاد التي رقيت الى ذرى العمران . وهو مصيب في هذا الانتقاد لان الصانع الذي لا يتعلم اصول صناعته العلمية لا يستطيع ان يباري صانعاً آخر تعلم هذه الاصول . وان كان الانكليز يشكون من قصورهم في تعليم المبادئ العلمية في المدارس الصناعية وتقصيرهم عن الالمان من هذا القبيل فهاذا نقول نحن وصناعنا مقصرون عن كل الصناع الاوربيين من كل الطبقات . وان كان رجال اليابان يحسبون انه لا يمكنهم ان يجاروا الصناع الاوربيين في اقل من عشرين سنة مع ما هو مشهور عن اجتهادهم وتنشيط حكومتهم لهم فهاذا نقول نحن اهالي القطر السوري والقطر المصري . وان كانت اوربا كلها تخاف من مزاحمة اميركا لها في ميدان الصناعة لانها (اي اميركا) ادخلت العلم الى كل معاملها الصناعية وهي تناظر اوربا الآن بذكاء العقل لا بهارة اليد لانها تستنبط كل يوم اساليب جديدة لانتقان المصنوعات وتسهيل عملها وترخيصها وهي لا تعطي مديراً مثل شواب مليون جنيه في السنة اجرة الا لانها ترجح من علمه وحسن ادارته عشرة ملايين فما يكون شأننا نحن امام هذه المناظرة

اذا نظر المرء الى ما تقدم وخطر له انه يجب علينا ان نبتدى الآن بما ابتدأ به الاوربيون والاميركيون منذ مئة عام وقع في اليأس ولكن المعارف العلمية والصناعية لم تعد سرّاً غامضاً ولا هي في حَرَمٍ يتعذر الدخول اليه بل موائد مباحة للجميع فما قضى الاوربيون والاميركيون مئة عام في استنباطه واثقانه يمكننا ان نقبسه منهم في عشر سنوات وما وضعوه من القواعد العلمية واكتشفوه من النواميس الطبيعية يمكننا ان نتعلمه منهم في سنين قليلة فليس ثمة وجه لليأس اذا كان عندنا همّة وارادة وقصدنا بحجارة الاوربيين في امر من الامور ولا يحول دوننا الا العوائق الطبيعية والسياسية مثل عدم وجود الفحم او القوة وارتباطنا ببعض المعاهدات الدولية فاذا نشطت الحكومة الى فك القيود التي تمنع تقدم الصناعة وعني بعض المؤسسين بعمل الصناعة مطلباً لهم فلا يبعد ان ننجح فيها نجاحاً اكيداً

باب الزراعة في مصر

القطن المصري

بلغ الوارد من القطن الى الاسكندرية من اول سبتمبر الماضي الى ٢٩ اغسطس هذا العام ٦٤٧٧١٤٩ قنطاراً اي انه زاد اكثر من مليون قنطار عما كان عليه في العام الذي قبله لان مقدار الوارد فيه بلغ ٢٩٩ ٥٤٧٤ قنطاراً فدل ذلك دلالة واضحة على ان موسم القطن قد يزيد او ينقص مليون قنطار وهو يساوي نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات فكان القطر المصري يكسب او يخسر نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات اذا كان الماء كافياً لري القطن او غير كافٍ. الا ان ثمن محصول القطن لا يزيد بزيادة المحصول بل قد ينقص كثيراً بزيادته. ولو كان الارتباط مضطرباً بين الثمن والمحصول اي لو زاد الثمن دائماً بقلّة المحصول وقلّ بزيادته متبعاً في ذلك نسبة ثابتة لرأت الحكومة ان مصلحة البلاد تقوم بقلّة المحصول ففرضت على الاهالي ان يقتصروا كل سنة على ربع الاطيان الصالحة لزراعة القطن. فاذا فرضنا ان مساحة هذه الاطيان ثلاثة ملايين وسبعمائة الف فدان فيزرع منها تسع مئة الف فدان بدل المليون والمئتي الف فدان التي تزرع الآن فيكون ثمن محصول هذه التسع مئة الف فدان مثل ثمن محصول الالف والمئتي فدان ولكن سعر القطن لا يتوقف على محصول القطر المصري وحده

بل على محصول القطن الاميركي ايضاً فاذا زاد محصول القطن الاميركي عن اللازم للمقطوعة هبط ثمن القطن سواء كان المحصول المصري كثيراً او قليلاً . واذا نقص المحصول الاميركي عن اللازم ارتفع السعر ولو كان المحصول المصري زائداً لان الزيادة في المحصول الاميركي تبلغ مليون بالة اي خمسة ملايين قنطار او اكثر فيكون لها التأثير الاكبر في سوق القطن . ومع ذلك فالتقص في المحصول المصري يدعو الى ارتفاع سعره حتماً ولو كان هذا الارتفاع قليلاً في السنين التي يكثر فيها محصول القطن الاميركي

وما يذكر في هذا الصدد ان الطلب على القطن المصري بلغ حدّه في انكلترا وهو نحو مليونين ونصف مليون قنطار ولكنه أخذ في الزيادة في بقية الممالك الاوربية وفي الولايات المتحدة الاميركية فقد زاد المرسل الى ممالك اوربا نحو ثمانمئة الف قنطار والى الولايات المتحدة الاميركية نحو اربع مئة الف قنطار . وزيادة المرسل الى اوربا واميركا من اصبح العلامات على ان للقطن المصري سوقاً ثابتة وحاجة لا يقوم بها غيره وان صبح ما بلغنا وهو ان الرطل من القطن المصري يقوم مقام اربطال من القطن الاميركي وما ثبت من التجارب الزراعية وهو ان القطن المصري لا يجود زرعهُ في اميركا فلا خوف من ان يهبط سعرهُ او نقل الحاجة اليه

ثم ان ما قاله الكونت كليخن حديثاً من ان القطن يجود في السودان لا يفهم منه ان فطن السودان يمكن ان يناظر القطن المصري في نوعه لانه ان كان قطن الفيوم والمنيا بل قطن الجزيرة لا يناظر قطن الغربية والبحيرة فيبعد عن الاحتمال ان يخرج من السودان قطن جيد مثل القطن المصري او قريب منه هذا فضلاً عن ان اتساع الزراعة في السودان بعيد جداً لا يتم الا بعد سنين كثيرة

النيل

بلغنا آخر اغسطس والنيل مقصر عن الوفاء لم يبلغ في الروضة سوى ١٥ ذراعاً و ١٢ قيراطاً مع انه كان في السنة الماضية في مثل هذا الوقت ٢٠ ذراعاً وفي التي قبلها ٢٠ ذراعاً و ٨ قيراط و كان سنة ١٨٩٩ خمس عشرة ذراعاً و ١٧ قيراطاً وكانت تلك السنة اشد السنين وطأة على القطر المصري . والفرق بين سنتنا هذه وسنة ١٨٩٩ اظهر في اصوان منه في الروضة فانه بلغ في اصوان حينئذ ١٣ ذراعاً و ١٧ قيراطاً وبلغ هذه السنة ١٢ ذراعاً و ١٤ قيراطاً . واكثر الهبوط في النيل الابيض ونهر الاتبرة وقد وردت الاخبار ونحن نكتب هذه السطور

ان امطاراً غزيرة هطلت في جهات سنّار ولذلك ينتظر ان يزيد النيل ايضاً فيبلغ ما بلغه سنة ١٨٩٩ على الاقل

وسواء زاد او لم يزد فالري الكافي مكفول للوجه البحري من فضل خزان اصوان ومكفول ايضاً للمنطقة المتوسطة من اسيوط فنازلاً التي تروى من التربة الابراهيمية من فضل خزان اسيوط حتى كأن هذين الخزانين قد وفيا بنفقات انشاءهما في سنة واحدة واما الصعيد من فوق اسيوط فسيبقى جانب منه من غير ري (شراقي) ومن ذلك خسارة كبيرة ولكن بعض الشرايون من بعض

التعليم الزراعي

نرى الآن بالاختبار ان من امس ما يحتاج اليه هذه القطر رجال يعلمون طرق الزراعة وما يتعلق بها كالاغناء بالمواشي وتدير الري وحفر الترع واقامة الجسور وحساب مكعباتها فان امهر رجل بين نظار الزراعة لا يعلم كيف يداوي ثوراً من ثيرانه ولا كيف يحسب مكعبات ترعة حفرها او جسر اقامه او عزبة بناها ولا يستطيع ان يعلم مناسب ارض يريد تقصيرها واصلاحها . واذا اصاب زراعته آفة من الآفات عجز عن معرفة سببها . ويسوئنا ان المدرسة الزراعية الوحيدة في هذا القطر قد رفعت اجرة التعليم حتى صار يتعذر على متوسطي الحال التعلم فيها ولم يعد تعلم الزراعة ميسوراً الاً للاغنياء الذين لا يهمهم ان يتعلموا شيئاً وان تعلموا يرضوا ان يقرنوا العلم بالعمل وعلى كل حال لا يستخدمون نظاراً ومفتشين في الزراعات حيث تكون اجرة الناظر او المفتش من خمسة جنيهات الى عشرة او اكثر قليلاً

ويقيننا ان الحكومة تقصد خير الرعية وتود ان تنشر المعارف الزراعية الصحيحة في البلاد لان ذلك يزيد ثروتها كثيراً . ولكن فعلها هذا جاء منافياً لهذا القصد . فان كانت تجد الطلبة كثيراً ومدرستها لا تسعهم واساندها لا يكفون لهم فعليها ان توسع المدرسة وتكثر عدد الاساندة . وكل جنيه تنفقه في هذا السبيل تسترده من البلاد جنيهات كثيرة والبلاد ترجع منه الوفاً

الفاكهة في مصر

لما نقلنا المقتطف الى القطر المصري منذ سبع عشرة سنة كان اول شيء استوقف نظرنا من باب زراعي قلة الفاكهة فيه مع ما هو معلوم من ربح زراعتها ولزومها لطعام السكان من

باب صحي . ومن ثم اخذ زرع الفاكهة يزيد عاماً فعاماً فكثير العنب على اشكاله وقد رأينا منه بالامس ثلاثة انواع من اجود انواع العنب في حديقة لحضرة سليم بك فرج في عزبة النخل ممّا يسمى في بلاد الشام بالجوزاني وخذود البنات . وكثير التين على انواعه حتى التين الشامي الابيض والاحمر ونوع يشبه تين ازميز . وكثير الموز البلدي والهندي والبطيخ الناتج من نقاوي البطيخ اليافاوي والمنجو والغوايا والسليخ . وقد رخص ثمن الكثير من هذه الانواع حتى انه نقص اربعين او خمسين او مئة في المئة عما كان عليه منذ عشر سنوات ولولا كثرة الاكلين لرخص اكثر من ذلك ومع هذا فان الفاكهة لا تزال غالية جداً حتى يسهل على البلدان البعيدة كبر الاناضول وبلاد اليونان ان ترسل فاكهتها الى القطر المصري وتبيعها فيه . ولا يزال المجال واسعاً جداً للاكثار من زرع الجنائن والبساتين ولا سيما من زرع ما لا يتلف اذا لم يبع في حينه كالتين والعنب فان العنب يبيع ويباع باسماً باغلي ممّا يباع طريئاً والعنب يصنع زبيباً وخمراً . ويجب ان تبلغ غلة الفدان المزروع فاكهة اضعاف اضعاف غلة الفدان المزروع قطناً او حنطة ولا سيما اذا كانت الاطيان قرب المدن الكبيرة التي يسهل نقل الفاكهة اليها

زراعة الصبر السقطري

الصبر من النباتات التي تعيش في هذا القطر والقطر الشامي حيث لا تجود الزراعات الاخرى وقد اطلعنا على مقالة في كيفية زراعته للمستروليم فريمان في جريدة الهند الغربية الزراعية فترجمناها لعل الاطلاع عليها يغري احداً بزرع هذا النبات واستغلاله .
كيفية زراعته — تركس الارض وتسمد وتقطع بالماوي والمصارف وتزرع فيها فسائل الصبر التي تنمو حول اصوله ووقت الزرع في بربادوز من ابريل الى يونيو وتزرع الفسائل صفوفاً بين الصف والاخر ١٨ عقدة او قدما وبين الفسيلة والاخرى نصف قدم الى قدم ونفقات الركس والتعشيب والتسميد والزرع تبلغ من جنهين الى ثلاثة لكل فدان عدا ثمن الفسائل

واذا كان الزرع متقناً امكن جني الغلة الاولى بعد سنة من الزمان . ويمكن زرع الذرة بين فسائل الصبر في السنة الاولى واماً في السنة الثانية وما بعدها فلا يزرع بين الصبر الا القرع لانه يستعمل لجمع العصير من ورق الصبر

جني الصبر — حينما يكبر الصبر ويصير عمره سنة او اكثر يمرّ العامل بينه والسكين في يده ويقطع الاوراق السفلى كلها من حول الساق ويضعها في حوض كبير من الخشب وكعوبها

المقطوعة الى اسفل حتى تخرج العصارة منها الى الحوض ثم تصب منه في قرعة او اناء آخر اغلاء العصير . يجمع العصير ويترك يومين حتى يرسب ما فيه من العكر ثم يغلى في اناء معدني ويحرك جيداً فيسود لونه ويشتد قوامه وحينئذ تخفف الحرارة . والذين يغلون الصبر يعلمون من منظره وشكل الفقاقيع التي تتكون فيه ما اذا كان قد أغلى الاغلاء الكافي وحينئذ يرفع بمناشل طويلة من الاناء ويصب في القرعات حتى تمتلئ وحينما يجمد فيها يقل حجمه كثيراً فتملا من طبخة أخرى من الصبر وتسع القرعة من الصبر الجامد عشرين رطلاً الى ستين وتبلغ نفقات الفدان لتعشيبه وقطع اوراق الصبر واغلاء عصيرها نحو خمسة جنيهاً ويترك نبات الصبر في الارض اربع سنوات ويجني منه في السنة الاولى ١٠٠ رطل وفي السنة الثانية ٢٥٠ رطلاً وفي الثالثة ٥٠٠ رطل وفي الرابعة ٥٠٠ رطل ايضاً وثمر قطار الصبر من جنيه ونصف الى خمسة جنيهاً او ستة واجود انواعه السقطري وهو اغلاها وقد يبلغ ثمن قنطاره عشرة جنيهاً

الزيوت العطرية

في القطر المصري اشجار ونباتات كثيرة فيها زيوت عطرية طيارة يمكن استخراجها والاتجار بها كزيت قشر البرتقال والليمون والمندرين وزيت اليوكالبتوس وزيت النعناع عدا الورد الكثير الذي يمكن ان يستخرج عطره . ولا يستخرج من ذلك كله الا الآن ماء الورد وماء النعناع وماء الزهر . وقد بلغنا ان الاسرائيليين الذين عادوا الى بلاد فلسطين زرعوا الورد الجوري قرب بحيرة الحولة وهم يستخرجون عطر الورد منه ويبيعون الكيلونحو تستمائة جنيه وما هو ميسور لهم يجب ان يكون ميسوراً لاهالي هذا القطر ولكل سكان القطر الشامي

مرض القطن

ظهر الآن ان مرض القطن الذي خيف من انتشاره في اول الموسم لم ينتشر ولا رأينا له اثرًا في كثير من الزراعات الواسعة ولكن ظهر نوع من الفطر الاسود على قليل من شجيرات القطن اتلف جوزها غير ان انتشاره قليل جداً كنا نرى بضع شجيرات مصابة به في الفدان وسائر القطن سليم منها . ولم يرتفع شجر القطن كثيراً هذا العام كما ارتفع في العام الماضي ولكن الجيد منه جوزة كثيرة جداً رغماً عن عدم ارتفاعه

بَابُ التَّقْرِيزِ وَالْإِجْمَاعِ

الاجنبى المهاجم والدخيل المزاحم

حضرة الفاضل محور المقتطف الاغمر

بعد الاحترام ابعث اليكم بالكمالات الاتية رجاء نشرها في "باب التقريظ والانتقاد" ردًا مني على تقريركم لكتاب فريد بك الحامي في تاريخ الرومان وهي :
ادهشني كلامكم على كتاب "تاريخ الرومان" تأليف محمد بك فريد الحامي الذي استفقتم به باب التقريظ والانتقاد في الجزء الثامن من المقتطف حيث دار محور انتقادكم بدون ان يلتفت الى ما شمله الكتاب من الاخبار التاريخية فقط حول كلمات قالها حضرة المؤلف في مقدمته من جهة ومن جهة اخرى فان الفقرة التي انتقدتموها بسوءالكه الذي قلتم فيه "لوسأله" ذلك وانصف الخ " كان يجب عليكم ان تستحقوا الناس على مطالعتها واتباع ما حوته من فضائل النصائح المفيدة عوضًا عن التعرض لها بمثل هذا السؤال الذي يحمل القارئ على الشبهات في حسن نية المنتقد وفي رأيي انكم لو انصفتم انتم لما وجهتم مثل هذا السؤال الى رجل يقول لقومه قد اخترت نشر تاريخ الرومان بينكم لانه "مفعم بالحوادث الصادرة عن حب الوطن والاخلاص له والتفاني في خدمته والتهالك في الدفاع عنه والذود عن حوضه" الى آخر ما ذكر من الفضائل التي اتفق علماء الاخلاق في كل الامم على وجوب غرس جثومتها في نفوس الافراد وهم اطفال وانماها في جسومهم وهم فتیان وتجريضهم وحشهم على اتباعها والعمل بها وهم كهول وشيوخ . فما السبب الذي حاكمكم يا ترى على هذا الانتقاد وانتم لا شك من يعرف الفضيلة ويحقق قدر الناصح بها قدره . وما العامل الذي حرك فلكم الى عرض سؤال مثل خلط الحابل بالنابل وارادة طمس وجه الحقيقة وهي ظاهرة كاهلال في ليلة صحواء ؟ !
فان كنتم تجهلون من يعني فريد بك "بالاجنبى المهاجم والدخيل المزاحم" فاسمحوا لي ببيان ذلك ايجازًا

ينقسم سكان القطر المصري الحاليين في نظر الشبيبة المصرية الى ثلاثة اقسام الاول وهو الفريق الاكبر من كان يسكن القطر قبل الاحلال الانكليزي وكان ولا يزال يخضع لاحكام الحكومة الخديوية المصرية ومن خلفهم ويخلفهم من اعقابهم والى هذا الفريق المعروف باسم الامة

المصرية قد وجه فريد بك كلامه في مقدمته . والقسم الثاني رعايا كل الدول الاجنبية صواحيبات ما يسمونه "الامتيازات الاجنبية" من جهة والدولة المحتلة من جهة أخرى ويطلق عليهم اسم "الاجنبي المهاجم" واما القسم الثالث وهو فريق الدخلاء فيطلق في عرف الشبيبة المصرية على افراد من مصريين وغيرهم ممن تمصر من الاجانب وعلى الاخص من الشرقيين رعايا المملكة العثمانية وباع ذمته في خدمة "المعتدي الظالم والاجنبي المهاجم" مع سبق علمه ضرر ذلك بجسم الامة التي دخل فيها

فهذان الفريقان هما يا حضرة الفاضل اللذان نوه عنهما فريد بك في مقدمته "بالاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم" ويوافقه على ذلك كل ذي احساس شريف وبصيرة لم تعمها الاغراض الذاتية الدنيئة . فان وافقتموني كنتم وايي سواء والا فطارحتكم البحث والمناقشة في هذا الموضوع واجبة علي حتى يقنع احدنا الآخر والسلام

الدكتور محرم بك

مونخ

[المقتطف] ان لم يخطئ حزننا فالدكتور محرم بك هو ابن المرحوم محرم بك الذي عرفناه في هذا القطر وكنا نسره بحديثه المفعم بالفوائد والنوادر . والدكتور محرم بك درس في اشهر مدارس اوربا ولذلك نرغب في مذاكرته في هذا الموضوع على امل ان يزن اقوالنا بميزان العقل ولا يدع لاهواء النفس سبيلاً الى احكامه فنقول

ان رده علينا يشتمل على امرين حربيين بالنظر الاول تفسيره للاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم والثاني ارتيابه في صدق نيتنا لاغضائنا عن اقوال قالها المؤلف اما عن الامر الاول فنقول انه اطلق كلمة "الاجنبي المهاجم" على رعايا الدول الاجنبية صواحيبات الامتيازات الاجنبية والدولة المحتلة بنوع خاص . واطلق كلمة "الدخيل المزاحم" على افراد من مصريين وغيرهم ممن تمصر من الاجانب وعلى الاخص من الشرقيين رعايا المملكة العثمانية وباع ذمته في خدمة المعتدي الظالم والاجنبي المهاجم مع سبق علمه ضرر ذلك بجسم الامة التي دخل فيها

اما القسم الاول اي الاجنبي المهاجم فالمراد به صريح واضح من كلام حضرة الدكتور وهو يشمل الانكليز والفرنسيين والالمانيين والنمسيين والايطاليين ونحوهم من رعايا الدول صاحبات الامتيازات الاجنبية . وتسميتهم بالاجنبي لا غبار عليه ولكن نعتهم بالمهاجم غير صحيح لانه لم يهاجم مصر احد منهم والانكليز انفسهم اتوا بطلب من الخديوي السابق وللحفاظة على حياته وقع الثورة العرابية واقاموا في القطر برضى الباب العالي صاحب السيادة وهو الذي ابطل

الاتفاق لتجديد زمن الجلاء . هذا هو ظاهر السياسة واما باطنها فهو ان اسراف الخديوي السابق دعا الى ارتهان المدانين الاوربيين لاكثر القطر المصري واجبارهم دولة من دولهم على احتلاله ائتماناً على اموالهم . وهذه الحقائق يعلمها حضرة الدكتور محرم بك كما نعلمها نحن فلا داعي للتطويل في شرحها ولا وجه لانكارها

ويتضح استنكارنا لاعت الاجانب بالمهاجمين من تطبيق وصف المهاجم على حضرة الدكتور محرم وعلى المرحوم والده فان المرحوم والده كان يفتخر برعويته النمسية . ولا ننسى كم مرة ذكر لنا ذلك وقص علينا اخبار ذهابه الى بلاد النمسا ومقابلته العظماء فيها . فهل نلقبه هو واباه واخوته بالاجانب المهاجمين الظالمين المعادين لمصر وبنائها

وما يذكر في هذا الصدد اننا قلنا سمعنا رجلاً يتكلم بحماسة عن الوطن والوطنية المصرية وسألناه عن اصله الا وجدنا انه من غير المصريين . سمعنا بالامس رجلاً ينادي بالوطنية ويتشدق بكلام ثقيل فانتظرنا الى ان سكن جاشه وقلنا له اين ولد المرحوم والدكم فاطرق قليلاً ثم قال في بغداد واصلنا من ديار بكر فصمتنا ونحن نقول في انفسنا يا سبحان الله ان هؤلاء الناس يتيجحون بالوطنية واما المصريون الاصيلون الذين يمتد نسبهم الى رعمسيس فلا نسمع منهم مثل هذه الدعوى

ناثي الان الى فريق الدخلاء وقد وصفهم حضرة الدكتور بانهم "باعوا ذمتهم في خدمة المعتدي الظالم والاجنبي المهاجم" وكلمة باعوا ذمتهم غير محدودة المعنى ولا هي صريحة ولكن القرينة تدل على انها وصف قبيح جداً اقل ما فيه الخيانة للوطن وهي تدل على ان الاجانب الذين في مصر كلهم او جلهم مهاجمون معتدون ظالمون . وقد وصفهم بذلك صريحاً ولو لم يصفهم هذا الوصف الصريح لاستدلنا عليه من اتهامه بعض السكان ببيعهم ذمتهم لهم لان بيع الذمة لا يكون الا للعدو

فتهمة المؤلف التي ذكرناها بالازدراء ودافع عنها حضرة الدكتور محرم بك هي هذه : ان الاجانب الذين في القطر المصري عموماً (ومحرم بك واخوته منهم) اعداء للمصريين معتدون عليهم ظالمون لهم . وزاد حضرة الدكتور محرم على ذلك الان ان كل من يحاسبهم ولا يعاديهم فهو باع ذمته لهم ومشارك اياهم في الاعنداء على المصريين وظلمهم وان هذا هو معتقد الشبيبة المصرية ومعتقد كل ذي احساس شريف وبصيرة لم تعمها الاغراض الذاتية الدنيئة . ونحن ننكر ذلك كله ونستهجنه ونعتقد ان الذين يقولونه اما انهم يعلمون بطله ولكنهم يتخذونه وسيلة للكسب او انهم مغرورون بطيش الشباب او بقله الاخبار وانهم متى عركوا الدهر قليلاً

ادركوا خطأهم وانصاعوا الى الحق . ونعتقد ايضاً ان الذين يحاسنون الاجانب ويجاملونهم من الجنب الخديوي ونظاره فنارلاً الى اصغر فلاح في هذا القطر قد افادوا القطر بصنيعهم وان الذين اظهروا العداء للاجانب جرؤوا على القطر الويل والشر . وان اكبر صديق لهذا القطر هو الذي يحث ابناؤه ويساعدهم على مناظرة الاجانب والاكتساب منهم والافتداء بهم . وان اكبر عدوله هو الذي يقنع المصريين بمعادة الاجانب والابتعاد عنهم وعمّن يواليهم ونحن والاجانب من حيث ضعفنا وقوتهم وجهلنا وعلمهم وكسلنا واجتهادهم ونمولنا ونشاطهم كالخشب والحديد كل احتكاك بيننا وبينهم يعود علينا وحدنا بالضرر والتلف . نعم انه لو لم يقيد الخديوي الاسبق البلاد بقيود الدين ولو لم تأت الثورة العراقية فتقيد البلاد بقيود الاحنلال لفضلنا ان نبقي وحدنا نسير الهوينا الى ان نبليغ اشدنا فلا تشعر اوربا الاً ونحن دولة عزيزة الجانب مثل اليابان ولكن الخطأ الذي لسنا بمسؤولين عنه اوقعنا في احوال لا يمكن التخلص منها بالمشاغبة والمناوأة بل بالصبر والسعي والمواولة

ويقيننا ان حضرة الدكتور محرم بك لا بد من ان يقول قولنا اذا تبصر في شرحنا هذا ونوءد له اننا لم ننتقد كلام صديقه المؤلف محمد بك فريد الاً لانه مضر يجب الاقلاع عنه . وهنا يصل بنا الكلام الى الامر الثاني وهو اغضاؤنا عن اقوال قالها المؤلف فنجيب ان المنادة بخدمة الوطن والاخلاص له والتفاني في خدمته في مثل المعرض الذي وردت فيه هذه المنادة وهو اتهام الاجانب بمعادة الوطنيين وظلمهم — هذه المنادة اذا وثقنا بصدق المنادي بها قلنا انها تحريض على الثورة والا فلا معنى للتهاك في الدفاع عن الوطن والدود عن حوضه في هذا المقام . واذا لم نثق بصدق قلنا انها رياء وتضليل فاي الغرضين نمدح

وعسى ان لا يرى حضرة الدكتور بعد هذا البيان اننا "خططنا الحابل بالنابل" ولا اننا اردنا "طمس وجه الحقيقة" وسيعلم ان اكثر ذوي الاحساس الشريف والبصيرة التي لم تعما الاغراض الذاتية الدنيئة لا يعتقدون معتقده ولا معتقد الذين نعتهم بالشبيبة المصرية وفقنا الله جميعاً الى ما به خدمة ابناؤنا نوعنا خدمة حقّة

رواية المروءة والوفاء

كان المرحوم الشيخ خليل اليازجي شاعراً مطبوعاً ولد في بيت الشعراء وربي فيه فنظم الشعر الحسن فتى صغير السن وبرز فيه على الاقران وظل الشعر طوع قريحته الى ان تغلب بالسل على رثيته . ورواية المروءة والوفاء من اول منظوماته "وقد اخنار موضوعها من

اشهر وقائع ملوك العرب الجاهلية واجدرها بالتمثيل اذ جمعت يوم البؤس ويوم النعيم وظهر فيها الفرج بعد الضيق وقد شئخص فيها غوائل السكر وقباحة الظلم وكرم الاخلاق عند العرب . . . وصدرها بقصيدة طويلة بسط الكلام فيها على الاصول والاحكام الواجب مراعاتها في هذا النوع من الروايات ممّا وضعه من نفسه واتمّ نظمها سنة ١٨٧٦ " وعمره عشرون سنة ومثلها سنة ١٨٧٨ وحضرنا تمثيلها حينئذٍ فكان غاية في الجودة وقد طبعت هذه الرواية اول مرة سنة ١٨٨٤ واعيد طبعها الآن في مطبعة المعارف بمصر

آثار الفيوم الجيولوجية

SOME NEW MAMMALS
FROM THE
UPPER EOCENE OF EGYPT.

BY

C. W. ANDREWS, D. Sc., F. G. S.,
of the British Museum (Nat. Hist.)

AND

HUGH J. L. BEADNELL, F. G. S., F. R. G. S.,
OF THE GEOLOGICAL SURVEY OF EGYPT.

اخذ قسم المساحة الجيولوجية يخلد اسم الفيوم وما فيها في ديوان العلم فقد اكتشف مؤلفا هذه الرسالة آثار حيوانات كثيرة في بلاد الفيوم ووصفا بعضها وصفا موجزا في هذه الرسالة من ذلك الحيوان الذي سمياه فيوميا سريدنس نسبة الى الفيوم وهو من الحيوانات المتوسطة بين ذوات الكيس والضواري وتعرف عند علماء الحيوان باسم creodont وقد كشفت آثار هذه الحيوانات في اوربّا واميركا في طبقات الميوسين والايوسين ولا نعلم انها كشفت في افريقية قبل الآن . ومنه آثار الحيوان الذي سمياه صاغثريوم انتيكوم نسبة الى قصر الصاغة الذي وجد قربه وهو من نوع الوبر الموجود الآن في فلسطين ويدل شكله على انه من القارضات وهو ليس منها . ومنه نوع من ذوات الخلف سمي انكودس غورنبي نسبة الى المستر غورنبي من رجال ادارة المساحة الجيولوجية الذي مسح اكثر الفيوم سنة ١٨٩٨ وفي هذه الرسالة صور هذه الآثار مصنوعة في دار المساحة الجيولوجية ويا حبذا لو اسرعت دار المساحة في نشرها حتى لا تنشر في غيرها قبلها

ويظهر من بقايا الاشجار المتحجرة الموجودة مع آثار هذه الحيوانات ان الماء جرفها كلها معاً ورسبت منه حيث وجدت الآن

التصوير الفوتوغرافي

خُصَّ اهالي اسيا الوسطى من ايران الى بخارى فالصين بالمهارة في صناعة التصوير والنقش ولم تنزل لهم هذه المزية مع ما نزل ببلدانهم من النوازل منذ أكثر من الف عام الى الآن . والظاهر ان حضرة مؤلف هذا الكتاب علي افندي شمس الدين البخاري اصلاً ورث هذا الميل عن اسلافه فتعلَّم صناعة التصوير الشمسي وألَّف فيها هذا الكتاب النفيس بانياً ما كتبه فيه على ما علمه بالعلم والعمل وما رآه في الكتب والجرائد والمجلات الفنية فجاء كتاباً وافياً في بابه كما كان كتاب الدر المكنون حيناً ألَّف لكن العقبة الكبرى في سبيل الكتب الصناعية التي مثل هذا الكتاب هي انه لا يمضي سنة او سنتان حتى تستنبط اساليب جديدة فيقدم الكتاب بالنسبة اليها قبلما يباع منه ما يقوم بنفقات طبعه فعسى ان يكون نصيب هذا الكتاب احسن من نصيب غيره ويستفيد منه كثيرون . والكتاب جامع لما يحتاج الى معرفته من يريد ان يتعاطى هذه الصناعة وموضح بكثير من الصور التي تزيده بياناً فنشني على حضرة مؤلفه ثناءً جميلاً

بَابُ الطَّبِيبِ

فمنها هذا الباب منذ أوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيه مسائل القُرَّاء التي لا تفرج عن دأمر بحث المقتطف . وبشترط على السائل (١) ان يمضي مسألة باسمه والقاب والمحل اقامته امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليذكره مسألة فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهلناه لسبب كافٍ

(١) الكوليرا والطيور

بلغني ايضاً انه لما انتشرت الكوليرا في القطر المصري سنة ١٨٨٣ اخفت العاصير فهل ذلك صحيح

ج سمعنا هذه الدعوى قبل الآن ولكننا راقبنا الطيور في بر الشام وفي القطر المصري في وبائين آخرين فلم نر لها صحة والآن نرى الطيور كيف اتجهنا مع ان الوباء منتشر

الميا . سيداروس افندي بطرس . يقال انه في زمن الكوليرا خصوصاً والاوبئة عموماً تخفي الطيور مطلقاً ولا سيما الجنزور ولا تظهر الا بعد انتهاء الوباء . ولكننا نرى الآن العاصير طائرة على جاري عاداتها والجنازير مطلقة الجناح فكيف ذلك وقد

(٢) حموضة المعدة والكوليرا

مصر. احد التجار. يقال انه اذا كانت المعدة تفرز عصيراً حمضياً عند الهضم فانه يمت ميكروب الكوليرا اذا دخل المعدة فهل ذلك صحيح وما هو احسن اسلوب او احسن دواء يسهل تعاطيه لحفظ حموضة المعدة

ج اذا كانت المعدة سليمة فعصارها العادية حامضة وهي تमित ميكروب الكوليرا. راجعوا ما كتبناه في هذا الموضوع في اول الصفحة ٧٩٧ من الجزء الماضي من المقتطف. ويشير الاطباء باضافة نقط قليلة من الحامض البنيك او الهيدروكلوريك الى الماء وقت شربه تسهيلاً للهضم ومساعدةً لحموضة المعدة على قتل ميكروب الكوليرا. ويكفي عصير الليمون الحامض يمزج به الماء وقت شربه

(٣) الاصابة بالكوليرا مرتين

ومنه. هل يمكن ان يصاب الانسان بالكوليرا مرتين اي انه اذا اصاب بها وشفي هل يصاب بها مرة اخرى واذا كان يمكن ان يصاب بها مرة اخرى فهل يجوز ان يكون ذلك بعد شفائه تماماً او لا بد من زمن معين كتلقيح الجدري فانه لا يفعل في الانسان مرة ثانية الا بعد خمس سنوات او اكثر

ج اذا قسنا الكوليرا على غيرها من الامراض الميكروبية ترجع لنا ان الاصابة الواحدة بها نقي من الاصابة بها مرة اخرى بعد زمن قصير او طويل ويؤيد ذلك دعوى

الذين ادّعوا وجود طعم يقي منها لان الطعم لا يقي الا على مبداء ان ميكروبها يأخذ من البنية شيئاً لازماً لنموه فيها او يقي في البنية شيئاً يمنع نموه فيها ولكننا لم نقف على حوادث يوثق بصحتها تدل على ان الكوليرا نقي الجسم او لا نقيه ولا على مدة الوقاية اذا كانت نقيه

(٤) علاج الكوليرا بالتطعيم

ومنه. لم يتصل علماء الطب حتى الآن الى كيفية علاج لداء الكوليرا بالتلقيح بعد ما عانوه من اهوالها في اسيا

ج لقد اتصاوا الى التطعيم بمادة يقال انها نقي من الكوليرا فيصير دم المطعم بها اقوى من دم غير المطعم بها على مقاومة الكوليرا مثني مرة الا ان التدابير الصحية اوقى من كل الوسائل العلاجية لاسيما وانها تقوم بحفظ ماء الشرب نقياً

(٥) اتساع الحديقة

ومنه. لاحظت كثيراً في طفل صغير ان انسان عينه (الحديقة) يكبر احياناً حتى يصير كالعدسة الكبيرة ويصغر احياناً حتى يصير كالنقطة الكبيرة وهذا يحصل نهائياً وليلاً فاذا زاد الضوء صغر واذا نقص كبر فما سبب ذلك هل هو النور

ج ان ذلك يحدث في الصغار والكبار على حدٍ سوى في حال الصحة. والحديقة فتحة في القرنية يدخل النور منها فاذا كان النور كثيراً فالقليل منه يكفي لظهار صور

الجانِب الشرقي من خط المطرية صحبة لان
شارع الاهرام سيقى الزرع على جانبيه سنين
كثيرة والارض الزراعية الكثيرة الري تبقى
فيها مستنقعات صغيرة يتولد فيها البعوض
مُسبب الحمى المalarية فضلاً عما يكون في
هوائها من البخار الكثير

(٩) تولد التوأمين

العزازي. حافظ افندي سليمان. هل يتم
العلوق بتوأمين في وقت واحد
ج نعم وهذا هو الغالب اذا وجدت في
المبيض بيضتان بالقتان مستعدتان للعلوق .
واذا وجد فيه بيض كثير بالغ تلتحق كله
(١٠) حرافة البصل

ومنه. جربت زرع البصل الافرنكي الاحمر
الكبير فنبت ولكن جاء طعمه حريفاً جداً مثل
البصل المصري فهل اذا زرع البصل المصري
في الارض التي نبت فيها البصل الحلو يأتي
حلو الطعم مثله

ج هذا هو المرجح لان البصل كله من
نوع واحد واختلف طعمه باختلاف الاراضي
والاقاليم لكنه قد يفقد الصفات الجديدة
سريعاً في سنة واحدة وقد لا يفقدها الا بعد
سنين كثيرة حسب رسوخها فيه فان كان
البصل الاوربي الحلو قد صار حريفاً في القطر
المصري في سنة واحدة فمن المحتمل او المرجح
ان البصل المصري يصير حلواً اذا زرع في

المرئيات والكثير يشوش صورها ولذلك تضيق
الحدقة في النور الكثير واذا قلَّ النور لم يعد
القليل منه كافياً لظهار صور المرئيات واضحة
فتتسع الحدقة ليدخل منها المقدار الكافي من
النور. ولا شبهة في ان النور نفسه يؤثر في
المراكز العصبية المتسلطة على الحدقة فتوسعها
او تضيقها حسب الاقتضاء كما ينفذ الانسان
يده اذا اصابتها حجرة ولو كان غير ناظر اليها

(٦) الاسفلت في البناء

ومنه. ما هي فائدة طبقة الاسفلت التي
توضع على اساسات (جدران) المنازل وهل
تضر بعدم ربطها المباني بعضها ببعض
ج فائدتها منع رطوبة الارض من
الصعود الى ما فوقها ولا ضرر منها في عدم
ربط البناء لانها افقية

(٧) امساك الاطفال

ومنه. اذا كان الطفل حديث الولادة
ومعه امساك على الدوام وتولدت فيه غازات
فما هو احسن علاج لمنع ذلك

ج ان يسقى نصف ملعقة صغيرة من
زيت الخروع مع نصف ملعقة صغيرة من
زيت اللوز

(٨) هواء شارع الاهرام

ومنه. ما هو رأيكم في شارع الاهرام
هل هوائه اصح من هواء خط المطرية والعباسية
لمن يريد السكنى فيه

ج لا نظن انه اصح ولا هو مثل هواء

بلاد باردة ليس فيها المواد التي تسبب حراة
البصل اولا تساعد على امتصاصها واذخاها

(١١) ميل المطر

ومنه. لماذا تسقط الامطار بميل لأرأسيا
ج لان الجولا يخلو من الريح اي من
حركة في الهواء ولو طفيفة فتندفع نقط المطر
وهي نازلة حسبا تدفعها الريح الهابة حينئذ

(١٢) الفتن في المدارس

ومنه. قال جول سيمون اذا امتلأت
المدارس فرغت السجون فلماذا نرى الفتن في
مدارس روسيا

ج للفتن في مدارس روسيا اسباب
خصوصية في نظام الحكومة الروسية ونظام
مدارسها وطبيعة سكان البلدان الشمالية .
ولا غبار على القول المنسوب الى جول سيمون
لان الاحكام التي من قبيله لا يشترط ان
تصدق على كل الناس وكل البلدان وكل
الازمنة بل هو حكم اغلبي مثل كل الاحكام
الاجتماعية التي لا تخلو من الشواذ

(١٣) المشد وتصغير القدم

طنطا . ابراهيم افندي نقولا يارد ارجو
ان تخبروني ايها اضر وضع قدم الولد في
قالب من الحديد كما يفعل الصينيون اولى
المشد كما يفعل نساء الافرنج ولماذا نحسب
العادة الاولى من عوائد التوحش والثانية
من عوائد التمدن

ج ان تصغير اقدام الصينيات ممنعه
من العمل والفائدة واما تضيق خصور
الاوربيات فلم يمنع من ذلك . ولا شبهة
في ان المشد ضار ولا فائدة منه ولكن بعض
الكتّاب بالغوا في ضرره جدا وهو ليس كذلك
وهو اي المشد ليس من لوازم التمدن بل من شوائبه

(١٤) قدم الانسان

مدينة جاكسن باميركا . الخواجه رشيد
ابوريجان . يقول العلماء ان الانسان صار له
على وجه الارض مئات الالوف من السنين .
ولكن يظهر من تاريخ الخليقة على ما هو وارد
في التوراة ان ليس له في الارض الا نحو
سبعة آلاف سنة فارجو ان تفيدونا هل من
دليل تاريخي على قدم الانسان بهذا المقدار
او هل وجد في الارض اناس قبل آدم

ج ان الادلة التاريخية المعروفة الآن
تمتد الى نحو عشرة آلاف سنة وكان الانسان
حينئذ قادرا على تمصير المدن وبناء المباني
الفخيمة وتنظيم الجيوش واثارة الحروب فلا
بد من انه وجد على وجه البسيطة قبل ذلك
بالوف من السنين . اما تاريخ آدم على ما هو
مذكور في التوراة ووجود اناس قبله فمن
المسائل العويصة التي يختلف فيها الآن علماء
التفسير ويتعذر علينا ذكر اقوالهم فيها هنا
لضيق المقام وربما عدنا اليها في فرصة اخرى
وذكرناها بالتفصيل

(١٥) قدم بركان اتنا

ومنه . على ماذا تعتمدون في قولكم ان
بركان اتنا في صقلية ما زال يثور من وقت الى
آخر منذ ٣٠٠ الف سنة على الاقل

ج معتمدنا في ذلك على علماء الجيولوجيا
وهم يعتمدون على ما يرى من طبقات الارض
تحت المواد المقذوفة منه والآثار الآلية
الفارقة بينها فاذا وجد بين حممه آثار حيوان
لا يعيش هناك الآن بل كان يعيش في
العصر الجليدي او قبله استنتجوا ان البركان
كان ثائراً في ذلك العصر وقبله . وتاريخ
العصر الجليدي يعرف بالتقريب بدلائل
جيولوجية لا محل لبسطها هنا

وقد وجد ليل الجيولوجي الشهير ان اتنا
كان ثائراً قبل ان انقضى العصر الجليدي من
اواسط اوربا وان اساسه كان في عصر
البليوسين من العصور الجيولوجية . ويعرف
العصر من هذه العصور بما يوجد في الارض
من المتحجرات ويستدل على تاريخها من مقدار
ما تجرفه الامطار الآن من صخور الارض
واتربتها

(١٦) السفر نحو القطب الشمالي

ومنه . قرأت مراراً ان اناساً يجتهدون
حتى يصلوا الى آخر البحر المتجمد الشمالي فما
هو قصدهم من ذلك هل هو مجرد الشهرة او
لهم غرض آخر وهل يجدون هناك ارضاً
بابسة واناساً ساكنين فيها

ج الغرض الاول تجاري فان البعض
يظنون وجود بحر خالٍ من الجليد حول قطب
الارض فاذا صح ظنهم سهل السفر من
اوربا الى اطراف اسيا في هذا البحر ويضاف
الى ذلك ان الذين يرحلون الى تلك الاصقاع
يصفون ما يشاهدونه في رسائل وكتب تباع
فتغني مؤلفيها . والغرض الثاني علمي وهو البحث
عن الظواهر الجوية وبعض الامور الطبيعية
كمنظمية الارض والآثار الجيولوجية .
وهناك جزائر صخرية ولكن لا سكان فيها

(١٧) سبب ملوحة البحر

ومنه . لماذا جعلت مياه البحر مالحة
ج ان الملح موجود في طبقات الارض
وهو يذوب في الماء فكما وقع مطر على سطح
الارض اذاب بعض الملح الذي فيها وجرى
به الى البحر ثم ان الماء يتبخر من البحر ولا يصعد
الملح معه حينما يصير بخاراً فيزيد مقدار الملح
في ماء البحر على توالي الازمان . وهو في البحار
الكثيرة التبخر كما في البلدان الحارة اكثر
منه في البحار القليلة التبخر كما في البلدان
الباردة فالبحر الاسود مثلاً اقل ملوحة من
البحر الاحمر

(١٨) تولد الحيوانات

بغداد . الخواجه اسكندر مسيح . عند ما
تكلمتم عن تولد الحيوانات العليا في الجزء
السابع من المقتطف قلتم قد ثبت بالامتحان

العوائق التي تصدهم عن التقدم الحقيقي ويرى آخرون ان الشهوات على نوعها عادية وغير عادية هي الباعث الوحيد لذلك الارتقاء ويستشهدون على ذلك بما عليه أوربّا اليوم من اباحة ما كان محذوراً عند غيرهم من الامم الاخرى حتى كان ذلك من اكبر العوامل لاندفاعهم وراء تحصيل المكاسب واستغلال الفوائد

ج اذا كان مرادكم بالشهوات الموبقات كالفسق والسكر والخلاعة فهذه يستحيل ان تأول الى الارتقاء الحقيقي لانها تسقم الجسم وتضعف العقل وتذهب المال واذا انتشرت في بلاد افسدت عمراتها وقوّضت اركانها كما حدث في اواخر المملكة الرومانية

(٢٠) عمل الطحال

سنورس . حنا افندي ملطي . ماهو

عمل الطحال

ج نقل الدكتور ورتبات في فسيولوجيته "ان الطحال يصلح مواد الدم الالبومينية لاجل التكوين ويعيها الى زمن ثم يأخذها الدم منه شيئاً فشيئاً بحسب احتياج الطبيعة وانه عامل في تكوين جراثيم الكريات الدموية كالغدد اللفاوية وربما شاركته في ذلك بقية الغدد الوعائية . ومن وظائفه ايضاً على ما يظن انه تنخل فيه الكريات الحمراء الدموية بعد اتمام وظيفتها وحلول الدثار فيها . وقيل ايضاً ان

امكان التولد في بعض الاحوال من غير تلقيح اي ان كلا من جرثومتي الذكر والانثى قد تنمو وحدها من دون ان تمتزج بالاخري ونرجو ان تشرحوا لنا اساليب الامتحان وثبوت هذا الامر وهل يمكن ان نستنتج ان فرساً تحمل وتلد من غير تلقيح

ج ان الذي ثبت بالامتحان حتى الآن هو ان ييوض بعض الحيوانات البحرية الدنيئة تفرخ من غير مباشرة القاح لها بل بمجرد وضعها في سائل يظن انه يفعل بهافعلاً كهربائياً وقد شرحنا ذلك في الصفحة ٧١٥ من الجزء السابع اما ثبوت هذا الامر في بعض الحيوانات الدنيا فلا يدعو الى اطلاقه على الحيوانات العليا لان هذه قد افرقت ذكورها عن اناثها منذ زمن بعيد جداً وكثرت اعضاؤها حتى يتعذر ان توجد كل الاعضاء المقومة للنوع في بيضة الانثى اوفي جرثومة الذكر اما الحيوانات الدنيا فلا يزال بعضها يتولد بالانقسام كالنبات مثال ذلك الاسفنج فانه حيوان وتقطع قطعة منه وتزرع فتتو وتصبح حيواناً كاملاً لان اعضاءه قليلة بسيطة توجد في كل جزء واما الحيوانات الكبرى فاعضاؤها كثيرة ولكل عضو منها عمل خاص به فلا يقوم مقام بقية الاعضاء

(١٩) الشهوات والسكر

القاهرة . م . ك . يرى بعض العمرانيين ان استئصال داء الشهوات بين الامم من اكبر

الجسم من غير ضرر وآخر ما اتصل بنا علمه من هذا القبيل ان الطحال يصلح الكريات المكسرة من كريات الدم او يكون الكريات الحمراء

له وظيفة في الدورة البابية التي بينه وبينها علاقة شديدة“ وبين علماء الفسيولوجيا اختلاف كبير في وظيفة الطحال لاسيما وأنه ينزع كله من

بَابُ الْحَجَبِ الْعِلْمِيِّ

كالشرائط والخيوط الدقيقة . وقد تمكن اليابانيون من توليد هذا الطائر بطول الاعضاء ويبلغ ريش ذنبه هذا الطول في سنتين من الزمان فإنه يطول نصف قدم كل شهر وفي ذنب كل طائر ١٥ او ١٦ ريشة طويلة ويبلغ ثمن الطائر منه نحو عشرة جنيهات

التلسكوب العيني

رسم الاستاذ طُد الفلكي الاميركي رسم تلسكوب يشبه عين الانسان وهو كرة كبيرة مجوفة قطرها مئة قدم يمتد منها انبوب طوله مئتا قدم وقطر بلورته خمس اقدام فتجتمع اشعة النور بها على نقطة في باطن الكرة المجوفة حيث تكون الشبكية في عين الانسان. والكرة منصوبة حيث تتحرك كما تتحرك العين في محجرها فكان هذا التلسكوب عين طبيعية كبرت الوفاً من المرات لكي ترى الاجسام البعيدة بعداً شاسعاً رؤيئة واضحة . ولا بد للراصد من ان يدخل هذه الكرة ويجلس حيث يجتمع النور على مقعها ويرى صور

جوائز البالونات

عين مدير ومعرض سنت لويس باميركا مئتي الف ريال جوائز للبالونات من ذلك مئة الف ريال (اي عشرون الف جنيه) جائزة لاحسن بالون يعرض في ذلك المعرض . وخمسون الف ريال جوائز صغيرة للبالونات التي دونه . وخمسون الف ريال نفقات التحكيم والمعدات اللازمة لهذه المباراة. والمباراة للجائزة الكبرى مباحة لكل من يثبت انه صنع بالوناً مثل البالون الذي يريد عرضه طار به مسافة ميل على الاقل ثم عاد الى مكانه. والمظنون ان المسيو سنتوس ديمون يربح هذه الجائزة . وزمن المباراة بين اول يونيو سنة ١٩٠٤ و ١٢ سبتمبر وسيعين يومها بالضبط بعدئذ

الطائر الطويل الذنب

الشائع ان الطاووس اطول الطيور ذنباً ولكن في بلاد يابان طائراً اصغر من الطاووس كثيراً فان طول بدنه ورأسه نحو قدم وطول ريش ذنبه اثنا عشر قدماً وهو يتدلى منه

المرئيات كما ترتسم هناك . وحسب ان نفقات عمل هذا التلسكوب تبلغ ٢٧٥ الف ريال

ذهب الترنسفال

بلغ الذهب الذي استخرج من الترنسفال سنة ١٨٨٧ نحو ٢٣ الف اوقية وبلغ المستخرج منها سنة ١٨٩٨ أكثر من اربعة ملايين و٢٩٥ الف اوقية قيمتها ١٥١٤١٣٧٦ جنيهًا ويقدر الذهب الذي في كل ميل مربع من الريف الى عمق الف قدم بعشرة ملايين من الجنيهات واذا بلغ العمق ٦٠٠٠ قدم بلغ الذهب المستخرج من الميل المربع ستين مليونًا من الجنيهات وليس بعيدًا ان يستخرج الذهب كذلك مما مساحته عشرة اميال مربعة فيبلغ المستخرج منها ستمئة مليون من الجنيهات

واقية القطارات

قالت جريدة السينفك اميركان ان اشد الاصطدام فتكًا بالنفوس اصطدام قطار بآخر بحيث تدخل المركبات بعضها في بعض كأنها انابيب التلسكوب . وهذا الاصطدام كثير الوقوع وقتلاه كثار جدًا . وقد يلتقي قطار بآخر فتشب قاطرة القطار الواحد فوق مركبات القطار الآخر وتسحقها ومن فيها وهذا كثير الضرر ايضًا . امّا خروج القطار عن الخط فقليل الضرر لان القاطرة والمركبات تسير مسافة قصيرة بعد خروجها عن الخط ثم تنف من نفسها او تنقلب . فاذا امكن ان

تُستنبط واسطة تحويل كل الاصطدام الى خروج عن الخط قلَّ ضرر الاصطدام كثيرًا . وقد استنبط المستر ولدن هيرن الاميركي اسلوبين لتحويل الاصطدام الى خروج عن الخط وشرحت هذين الاسلوبين وصورتهما وخلاصة ذلك ان توصل مركبة مثلثة الشكل بالقاطرة من الامام وبالمركبة الاخيرة (السبنسه) من الوراء بحيث يكون رأس المثلث امام القطر او ورائه على منتصف المسافة بين الخطين فاذا التقى قطار بقطار او ادرك قطار قطارًا سائرًا امامه انخرق رأس المثلث الواحد عن رأس المثلث الآخر فخرج احد القطارين عن الخط او خرجا كلاهما معًا ولا ضرر من ذلك الا اذا كان هذا الخروج في مكان ضيق مرتفع فيندهور احد القطارين او كلاهما ولكن ذلك قليل واذا اصطدم القطاران من غير هذين المثلثين فلا يسلمان من الانكسار والتدهور . وبعض الشرهون من بعض

بركان بيلي والسفير

لا يزال هذان البركانان يثوران كأنهما لم يُفرغا كل ما في جوفيهما من قذائف الهلاك والتدمير . وكأن الكرة الارضية كلها شاركت جزيرة مرتينيك في مصابها فاخذت براكينهما ثور الواحد بعد الآخر ويعتريها الاهتزاز والرجفان فتثار بركان في كلبريا بايطاليا في الثاني والعشرين من اغسطس وكثرت الزلازل

لهربرت سبنسر شيخ فلاسفة هذا العصر وفاتهم
انه لا يقبل وساماً من ملك وقد عرض عليه
امبراطور المانيا وساماً مثل هذا فاعذر
عن قبوله

مقاومة البعوض في مصر

استدعت شركة ترعة السويس الماجور
روص مكششف فعل البعوض في نقل الحمى
الملاارية ليأتي الى الاسمعية في شهر سبتمبر
ويشير بالوسائل اللازمة لاهلاك البعوض
منها

مقاومة السرطان

قبل البرنس اوف ويلس ان يكون رئيساً
للجنة التي ألفت للبحث عن سبب السرطان
وعلاجه وقد صار المال المجموع لهذا الغرض
٣٢ ٣٩١ جنيهًا والمال الموعود ٤١٠٠ جنيهه

الخفافاش والطاعون

ثبت الآن ان الخفافاش ينقل جراثيم
الطاعون كما ينقلها الجرذ . والظاهر ان
البراغيث تمنص دم المطعونين وتعلق بالخفافاش
كما تعلق بالجرادين فتصاب بالطاعون ثم
تعدى منها براغيث اخرى وتنقل العدوى
الى الذين تلتصق بهم

تتويج ملك الانكليز

تُوج ملك الانكليز وزوجته في كنيسة
وستمنستر في التاسع من اغسطس وكان العلم

في ذلك اليوم والذي تلاه وشعرت بهما مرصد
اوربا وثار بركان في بلاد اسبانيا وبركان آخر
في الازورس واستيقظت براكين اخرى كانت
خامدة وثار بركان في جزيرة صغيرة اسمها
توري سيما قرب بلاد يابان بين الثالث عشر
والخامس عشر من اغسطس وكان فيها ١٥٠
نفساً فاماتهم كلهم وغطى الجزيرة بالقذائف.
وعاد بركان ييلي فثار ثوراً شديداً في آخر
الشهر اهلك الف نفس . وجاءت البواخر
القادمة من مرتينيك بخبر فحواه ان الماء
والوحد الغالي انصبا على قرية مورن روج
بقتة فلم يسلم احد من سكانها وان سيلاً من
الوحد ووابلاً من الحجارة هطل على قرية
اجوبا بوليون فدمرها وان قطعة من الارض
تزيد عن ميل في شرق الجزيرة غاصت تحت البحر
وورد في تلغراف رسمي ان ٥ قرى دمرت في
٣٠ اغسطس ليلاً و ٨٠٠ نفس قتلوا و ٢٠٠
جرحوا وقد جيء بالنفي نفس فروا من الجهات
الشمالية الى فوردو فرانس

وسام الاستحقاق

انشأ ملك الانكليز وساماً جديداً سماه
وسام الاستحقاق انعم به على اثني عشر من
العلماء فكان منهم اربعة من رجال العلم وهم
لورد ريلي الطبيعي ولورد كلفن الرياضي ولورد
لستر الجراح والسروليم هجنس الفلكي . وقد
اعترض البعض لان هذا الوسام لم يعط

نيزك كبير

اكتشف الاستاذ هنري ورد الاميركي حجراً نيزكياً كبيراً في غربي بلاد المكسيك ثقله خمسون طنّاً وطوله ١٣ قدماً وقد غار في الارض حين سقوطه عشرين قدماً

الدكتور شنك

توفي الدكتور شنك النمساوي الذي ادّعى انه يمكن تعيين جنس الجنين بالطعام الذي تطعمه الحامل كما ابنا ذلك في حينه

الذباب والامراض المعدية

خطب الاستاذ جيمس برون رئيس المجمع الصحي عن الذباب وما ينقله في نقل الامراض وقال ان للذبابة اليد الطولى في نقل الامراض الميكروبية وقد امتخت مبرزاتها حديثاً بالاستنبات فوجد فيها كثير من ميكروبات الامراض وهي السبب الاكبر في نقل الحمى التيفويدية . واستئصال الذباب صعب جداً لانه قد يولد من الذبابة الواحدة خمسة وعشرون مليون ذبابة في فصل واحد

ميكروب السل في اللبن

وُجد بالامتحان انه اذا سخن اللبن الى الدرجة ٦٠ بميزان سنغراد مات ميكروب السل منه ولو لم تطل مدة التسخين سوى عشر دقائق اذا كان الاناء مسدوداً و ٢٥ دقيقة اذا كان مفتوحاً

اليد الطولى في اتمام هذا التتويج واطهار بهجته فعلم الجراحة نجى الملك من افة قتالة وردة الى الصحة والعافية سريعاً وعلم الكهربائية زين الكنيسة والمدينة كلها زينة باهرة واذاع اخبار الاحتفال في كل المسكونة بسرعة البرق فعسى ان يمتاز حكمه بتوسيع نطاق العلوم والمعارف

مجمع ترقية العلوم الفرنسي

التأم مجمع ترقية العلوم الفرنسي في اوائل اغسطس في مدينة منتوبان في جنوبي فرنسا وخطب رئيسه المسيو كرنتيه خطبة الرئاسة وموضوعها التلغراف الذي لا سلك له . وقد وهب هذا المجمع ٣٢ الف فرنك في غضون السنة الماضية

تمثال باستور

نُصب تمثال للشهير باستور في دول مسقط رأسه في الخامس من اغسطس وحضر وزير التجارة الاحتفال برفع الستار عن التمثال وخطب خطبة حسنة ذكر فيها ترجمة باستور بالانحصار وفوائد مكشفاته العلمية

الصابون الطبيعي

وجد في كولومبيا البريطانية صابون طبيعي طبعته الطبيعة وازافت اليه قليلاً من البورق وقد تألفت شركة لاستخراجه فاستخرجت منه ٢٧٥ طنّاً ويقدر ما يمكن استخراجه منه بعشرين الف طن

الأكاديمية الانكليزية

رخص جلاله ملك الانكليز لجماعة من العلماء بانشاء أكاديمية للعلوم مثل الأكاديمية الفرنسية الغرض منها تعزيز درس العلوم الادبية والسياسية اية التاريخ والفلسفة والشريعة والسياسة والاقتصاد السياسي واثار الانسان وعلم اللغات وعدد اعضائها ٤٩

سر النجاح

ان ركفلر الغني الاميركي الشهير الذي تقدر ثروته الآن باكثر من خمسين مليوناً من الجنيهات لم يكن يملك سنة ١٨٦٥ سوى الف جنيه وعنده الآن مئتا سفينة بخارية وسبعون الف مركبة من مركبات سكك الحديد وخمسة وعشرون الف عامل في اوائل هذا العام اخبره ناظر من نظار معاملته ان العمال اخذوا يتذمرون ولا يبعد ان يعتصبوا ويضربوا عن العمل فلم يقل شيئاً بل لبس في الغد ثياباً مثل ثيابهم وحمل مزوده بيده مثلهم ودخل بينهم وجعل يشتغل معهم كأنه واحد منهم وقضى يومه كذلك وعاد في المساء ولم يقل شيئاً ولكن لم تمض بضعة ايام حتى غير نظام ذلك العمل فزالت شكوى العمال وجروا في اعمالهم بالهدوء والسكينة

عدد المسيحيين

كتب اسقف ربون مقالة "الكنيسة المسيحية" في الجزء الثالث الذي صدر الان

من الانسكلوبديا البريطانية الجديدة وقال فيها ان عدد المسيحيين كان في غرة القرن السادس عشر مئة مليون نفس لا غير فصار عددهم الان خمس مئة مليون نفس اي زادوا اربعة اضعاف في اربعة قرون . وكانت زيادتهم السنوية قبل الاصلاح الديني ٦٧ الف نفس فصارت بعده مليون نفس . ومنذ ثلثة سنة كان المسيحيون يسودون على جزء من ثلاثة عشر جزءاً من المسكونة اما الآن فيسودون على اربعة اخماس المسكونة وتحت سيادتهم اربع مئة مليون من غير المسيحيين فعددهم وعدد الخاضعين لهم تسع مئة مليون نفس . وهم ثلاث طوائف كبيرة البروتستانت والكاثوليك والارثوذكس . وعدد البروتستانت والخاضعين لهم ٥٢٠ مليوناً وعدد الكاثوليك والخاضعين لهم ٢٤٠ مليوناً وعدد الارثوذكس والخاضعين لهم ١٣٠ مليوناً

ثروة الاوربيين

اكثر الاوربيين من اصول ثلاثة التوتون واللاتين والسلاف ومتوسط ثروة النفس من التوتون ٢٢٦ جنيتها ومن اللاتين ١٤٠ جنيتها ومن السلاف ٦ جنهيات

عقل المرأة

كتب المستر جيمس سونيرن مقالة مسهبية في مجلة وستمنستر قابل فيها بين عقل الرجل وعقل المرأة . فقال ان عقل الرجل يعتمد على

الذين يكتفون بالجري في الطرق المطروقة وعلى الاساليب المألوفة ويسلمون بكل ما قاله الاولون تسليماً اعمى بخلاف الرجال الذين عقولهم رجولية فانهم فكوا قيود التقليد وخرجوا عن احكام المسلمات واختطوا لانفسهم خططاً جديدة وهم الذين اوجدوا العمران الحديث وبثوا فيه قوة النمو. وعند الكاتب ان المدارس الحالية تجعل العقل نساءً لانها نقيده بقيود الكتب وتعاليمها وتضعف حريته الطبيعية

تلغراف مركوفي

من رأي السروليم بريس الكهربائي الانكليزي الذي كان اول من بحث عن تلغراف لاسلاك له ان تلغراف مركوفي لم يف بالغرض المقصود منه حتى الآن وان نجاحه في البحر لا يدل على نجاحه في البر واذ اسهل ارسال الاشارات به في البحر لا يسهل ارسالها في البر وانه لم يف بالمراد لما جرب في جنوبي افريقية. وتدل الدلائل على ان التلغراف الالماني اي تلغراف "سلاي اركو" اصلح منه لارسال الاشارات الكهربائية. واكبر ما يعترض به الآن على تلغراف مركوفي ان الآلة تتأثر بعضها من بعض عن غير قصد ولذلك لم يشع استعماله ولا اثر اكتشافه في قيمة اسهم الشركات التي لها الخطوط التلغرافية تحت البحر فان بين اوربا واميركا ١٤ خطاً تلغرافياً في قاع البحر وهي تستعمل كلها دواماً

الاستدلال والابتكار واما عقل المرأة فيعتمد على الذاكرة والتقليد. وعنده ان من الرجال من عقله مثل عقل المرأة ومن النساء من عقلها مثل عقل الرجل ولذلك وصف العقل الواحد بالعقل الرجولي والعقل الثاني بالعقل النسائي وقال ان العقل النسائي يمتاز باخذه بالمسلمات واحترامه لكل ما هو قديم وتصديقه للتعاليم والاحكام التي قال بها السلف ولو لم يقد دليل على صدقها. واستدل على ذلك من ان المرأة تفلح في علوم الادب لان تحصيلها يتوقف على جودة الذاكرة وفي علم التاريخ لانه منقول لا معقول فتجاري الرجال فيه الا فروعها العليا حيث يستلزم قوة الاستدلال. وتحصل العلوم الرياضية ولكنها لا تفلح في فروعها العليا لان ليس فيها قوة الاستنباط والابتكار. اما العلوم الطبيعية والطب في جعلتها فتحصيل النساء منها قليل محدود وليس هن اكشاف مهم فيها

والمظنون ان الموسيقى من الفنون التي يفلح فيها النساء ولكن الامر على ضد ذلك لانه لم يقد منهن امرأة استنبطت الحاناً جديدة وغاية ما تفعله المرأة البارة في فن الموسيقى انها تماثل الآلة الموسيقية في احكام حركاتها

اما الرجال الذين عقولهم نسائية فتراهم مقيدون بقيود التقليد خاضعين لاحكام المسلمات وتعاليم القدماء ومنهم اكثر خدمة الدين في رأي الكاتب واكثر اساتذة المدارس

وبطريته مؤلفة من صفائح من النكل والحديد توضع في سائل قلوي . وتخدم زماناً طويلاً جداً ولا تلتف فان عنده بطرية مملأها واستعملها اكثر من سبع مئة مرة ولم يظهر فيها شيء من التلف او التآكل

فاي الفلكي

نعت الجرائد العلمية في الشهر الماضي العالم فاي الفلكي الفرنسي الشهير وهو في الثامنة والثمانين من عمره . واول ما اشتهر به اكتشافه المذنب المعروف باسمه منذ نحو ستين سنة وهو اول مذنب اهلبيجي عُرف مداره بالحساب وحده وبلا ارساد سابقة وكان فاي اذ ذاك مساعداً في مرصد باريس

وله آراء مشهورة في اصل العالمين وتركيب الشمس واسباب كلفها وكيمائها عموماً خدم امته وبلاده خدمة جليلة بعلمه وكتبه الكثيرة وكان عضواً في الجمع العلمي الفرنسي وعينه المارشال مكماهون ناظراً للمعارف في وزارته . وقد زالت بموته حلقة من الحلقات التي تربط العلم الحديث بالعلم القديم

اكبر القواطر

صنع معمل اميركي قاطرة لسكة الحديد في سنتافه ثقلها ٢٦٧٨ قنطاراً فهي اكبر القواطر وثقلها تسير على عشر عجلات قطر كل عجلة ٥٧ منها عقدة وقطر اذانها ست اقدام وست عقد

من غير ان يؤثر بعضها ببعض . وعنده انه لا يمكن ان يرسل بتلغراف مركوبي اكثر من عشر كلمات في الدقيقة . ولكن فائدته كبيرة جداً في تمكين السفن من ان يخاطب بعضها بعضاً وهي في عرض البحر

اما مركوبي فقال لاحد مذاكره في هذا الموضوع انه سوف يربط الممالك الانكليزية بعضها ببعض بواسطة تلغرافه حتى يصير الانسان يقف في لندن ويكلم آخر في الهند او في زيلندا الجديدة وحتى تصير المراكب تتكلم بعضها مع بعض في البحار الشاسعة كما يتكلم اهالي المدينة الواحدة الآن بالتلفون

بطرية ادبصن

قال المستر ادبصن المخترع المشهور انه مضى عليه ثلاث سنوات وهو باذل جهده في انقاذ البطرية التي تخزن فيها الكهربية فتمكن اخيراً من عمل بطرية ثقلها ٣٣٢ ليبرة وضعها في اوتوموبيل ثقله نصف طن وجلس فيه رجلان فسار بها في طريق سهل مسافة ٨٥ ميلاً . وسار بهامرة اخرى ٦٢ ميلاً في طريق جبلي بعضه مائل اثنتي عشرة قدماً في كل مئة قدم . وثن هذا الاوتوموبيل وبطريته ١٤٠ جنياً ويمكن ان يسير ثمانين ميلاً بعشرة غروش لا غير فيغني صاحبه عن السائق والسائس والاسطبل وعن الاهتمام بالخليل والعلف

اكتشاف مهم

اكتشف عالم انكليزي اسمه الدكتور بركنس من منشستر اكتشافاً مهماً في صناعة نسج القطن وهو وقاية المنسوجات القطنية ونحوها من الاحتراق. وقد توصل الى اكتشافه هذا بعد عمل التي تجربة. والمنسوجات التي تعالج كذلك تبقى غير قابل للاحتراق على الدوام ولو غسلت من حين الى آخر حتى تبلى. ويمكن لبسها ملاصقة لسطح البدن لان المادة التي تعالج بها لا تضر بالصحة. ولم يزل هذا الاكتشاف سرّاً غامضاً

آثار تدمر

زار البرنس لازريف الروسي آثار تدمر وخرائبها منذ سنوات قليلة واكتشف حجراً كبيراً طوله ١٢ قدماً وعرضه ٨ اقدام عليه كتابة واضحة باللغة اليونانية ولغة تدمر يظن انها نقشت عليه في القرن الثالث بعد المسيح وانها تتضمن تعريفه رسوم الجمارك والضرائب في تلك الايام. وفي السنة الماضية توجه الاستاذ اسبنسكي الاثري الروسي الشهير من قبل المتحف القيصري في بطرسبرج الى تدمر ومعه البعض من ألي الخبرة ليكتب تقريراً عن الكتابة المذكورة ويرى ما اذا كان يمكن قطعها من الحجر الكبير المنقوشة عليه فقرر ان قطعها سهل فاستأذنت الحكومة الروسية السلطان في ذلك فاذن لها.

وارسلت الحكومة الروسية قنصلاً من قبلها بنفر من العمال فقطعوا الحجر الذي عليه الكتابة ثلاث قطع وارسلوها الى بطرسبرج

قواد البوير

اتي قواد البوير بعد التسليم الى بلاد الانكليز فلقوا منتهى الحفاوة والاكرام من الامة الانكليزية ومن ملكها ايضاً. وقد فسر الاكثرون ذلك بان رجال الحكومة الانكليزية يريدون اصطناع هؤلاء القواد لكي يستعينوا بهم على ادارة بلادهم ونزع الضغائن من نفوس سكانها وان الشعب الذي اظهر هذا الاحنفاء بهم انما عبر عمماً يشعربه من الاعجاب بشجاعتهم واستبسالهم. لكن قام الآن رجل من كبار الكتاب عند الانكليز وهو المستر ادورد ديسي وكتب مقالة شديدة اللهجة في مجلة القرن التاسع عشر شدد فيها التكثير على الذين احنفلوا بقواد البوير هذا الاحتفال وبين بيلاغته المشهورة ان البوير لجأوا في حرهم الى كثير من الحيل الدنيئة التي لا تعد من البسالة في شيء وان هذه الحيل وان جازت للضعيف لكي يشد بها ازره لا تصير شريفة يوصف المتجبر اليها بالبسالة فانهم كانوا يلبسون ثياب الجنود الانكليزية وينشرون الراية البيضاء راية التسليم والصليب الاحمر شعار المستشفيات لكي يخدعوا الانكليز وينجوا منهم. والانكليز ابوا ان يكيلوا

ويقال ان قواد البوير يستحقون شكرنا لانهم اعترفوا بانغلاهم علانيةً وبدلوا جهدهم في العمل بشروط التسليم وساعدوا قوادنا في ذلك وهذا لا ننكره عليهم ونعترف لهم به ولكنني اذا رأيت انه احتفل بهم في بلادنا اكثر مما احتفل بجندونا الذين حاربوا حروبنا وسفكوا دماءهم عنا لا يسعني الا ان اسأل قائلاً ماذا فعل ده وت وماذا فعل دلاري وماذا فعل بوتنا حتى يستحقوا شكر انكنا فانهم لو لم يساعدونا في اجراء شروط التسليم لاصروا بانفسهم وبقومهم . وقل ما ينتظر منهم في مثل هذه الحال اذا كانوا رجالاً ذوي حنكة ان يقنعونا بانهم تركوا كل عدوان وصاروا يرغبون في ان يكونوا على تمام الوفاق والوئام وبمثل هذا الكلام لام قومه لاحفانهم بقواد البوير وقال ان هذا الاحفال ليس من الشهامة في شيء ولا هو من حسن السياسة في شيء لانه يحمل الناس في جنوبي افريقية على الظن اننا في حاجة الى هؤلاء القواد لكي يساعدونا على نشر راية الامن في البلاد ولولا ذلك ما احفنا بهم هذا الاحفاء

المنظرة الصناعية

اشد الدول منظر في هذه الايام انكنا والمانيا والولايات المتحدة الاميركية والظاهر ان الفوز سيكون للولايات المتحدة ثم لمانيا وتدور الدائرة على انكنا اذا لم

لهم بهذا الكيل او ان يستعينوا عليهم بالامم الافريقية المعتادة الكر والفر مثلهم وزادوا على ذلك ان اخذوا على انفسهم الاعناء بنسائهم واطفالهم فبقي البوير يشنون الغارات عالمين ان عند نسائهم القوت والمأوى ولولا ذلك لاضطروا الى التسليم حالما فتحت مدنهم

قال ولا فضل لهؤلاء القواد يشكرون عليه بوجه من الوجوه لانهم ظلوا يحاربونا حتى لم يبق لهم سبيل الى محاربتنا وكان يجب عليهم ان يسلموا حالما فتحت بلفنتين وبريتوريا ويوهنسبرج لانهم علموا من ذلك الحين انه لا يمكن ان تقوم لهم قائمة بعد ذلك لكنهم بقوا سنة ونصفا يشنون الغارات ويناصبون جنودنا العدوان وهم يقنعون رجالهم كذباً ان عزائنا ضعفت وقوانا خارت وانه لا بد من ان تقوم الدول الاوربية علينا ونعطف بيننا وبينهم او يقوى حزبهم في انكنا نفسيها ويغل يد حكومتنا عن الحرب . وكان غرضهم الوحيد من اطالة الحرب الانتقام منا بما تصل اليه طاقتهم . ولو كانت امه غيرنا في مكاننا لعاملتهم كما عامل الالمان الفرنسيين الذين لجأوا الى شن الغارات بعد الحرب الفرنسية اما قواد البوير فكانوا يعتمدون على كرم اخلاقنا وانه في اليوم الذين يسلمون فيه نرحب بهم ونرد اليهم املاكهم ومقتنياتهم ولذلك لم يهتموا ان يسلموا الا حين لم يبق لهم سبيل الى الحرب والمشغبة ولم يبق في جعبتهم سهم يرشقوننا به

ما يمزج بالماء وبكل ما يغسل به وهي لا ترى
بالعين حتى تحذر فلا بد اذاً من واسطة تزيلها من
الماء او تميته منه ومن كل ما يمزج به وهذه
الواسطة هي الحرارة فانه اذا اغلي الماء مات
ما فيه من الميكروبات واذا طبخ الطعام او
غسلت الفاكهة بماء مغلي مات ما يكون فيه
وفيها من الميكروبات



ميكروبات الكوليرا مكبرة جداً

ثم ان ميكروبات الكوليرا تصل الى الماء
من مبرزات المصابين بها فاذا مرض انسان
بالكوليرا وتلطخت ثيابه بمبرزاته وغسلت في
ترعة فانها تنشر ميكروب الكوليرا في مائها
ويصل الميكروب الى الطعام بواسطة
الذباب التي تحوم على مبرزات المصابين فتحمل
الميكروبات بارجلها وتمتصها بجراطينها وتنقلها
الى ما تحوم عليه من الطعام
ولو كان كل من يدخل جوفه ميكروب
الكوليرا يصاب بها لمات اكثر الناس ولكن
المعدة تमित ميكروب الكوليرا غالباً فلا يصاب
بها الا من كانت معدته ضعيفة او عاجزة عن
امانتها او كانت الميكروبات التي دخلتها كثيرة
جداً فعبزت عن امانتها كلها . ومن ادرك
ذلك لم تحف عليه طرق الوقاية

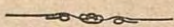
نطرق سبيلاً آخر فقد كانت انكلترا تستخرج
من الحديد نحو خمسة ملايين طن في السنة
بين سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٧٠ فصارت
تستخرج الآن ثمانية ملايين طن وكانت اميركا
تستخرج اقل من مليون ونصف مليون طن
فصارت تستخرج الآن نحو ١٦ مليون طن
وكانت المانيا تستخرج نحو مليون وربع مليون
طن فصارت تستخرج الآن نحو سبعة ملايين
ونصف مليون طن

ميكروب الكوليرا

شاعت كلمة الميكروب حتى صار عامة
الناس يحاولون تصوّره . وفاتهم ان الميكروبات
ميكروب الكوليرا وميكروب السل صغيرة جداً
فلا ترى بالعين ولو كبرت عشرة اضعاف او
عشرين ضعفاً او مئة ضعف وانها اذا كبرت
الف ضعف بانت كاصغر الاشياء فيميكروب
السل يرى حينئذ كالخطوط الدقيقة القصيرة
وميكروب الكوليرا يرى كلاله الصغرة
ولذلك فلا امل ان يراه احد بعينه ولا يرى
الا بالميكروسكوب الذي يكبر الاجسام الصغيرة
اضعافاً كثيرة ولا غرابة اذا بان الماء نقياً
صافياً وهو مشحون بالميكروبات . وكما يخفي
الميكروب في الماء يخفي في اللبن وفي كل
السوائل التي تمزج بالماء فاذا انتشرت الكوليرا
في مكان وخيف من اتصال ميكروباتها بالماء
خيف ايضاً من اتصال ميكروباتها بكل

فهرس الجزء التاسع من المجلد السابع والعشرين

الكمبائل برج البندقية (مصورة)	٨٢٥
سل البشر والبقر . للدكتور سعيد ابو حمرة	٨٢٧
الزواج والمشاهير	٨٣٢
تعليم الحيوان	٨٣٣
شرف العمل . لمحمد افندي كرد علي	٨٣٧
نبا من اليابان	٨٤٢
خرائب الشام (مصورة)	٨٤٧
منزلة الشعر من التاريخ . لامين افندي ظاهري خير الله	٨٥١
عروسة النيل	٨٥٤
البراكين واسبابها (مصورة)	٨٦٩
الخمر والتبغ والطعام	٨٨١
مكاتب المسلمين	٨٨٤



باب المراسلة والمناظرة * الانذار بفوران البراكين . الوهاية	٨٩٠
باب تدبير المنزل * الزوج والزوج . غسل الموزين والكمبريك . الاغتسال في البحر . واجبات الزوجة وقت الكوليرا . الرياضة بتغيير العمل . علاج الهبرية (القسرة)	٨٩٥
باب الصناعة * بعض الامزجة المعدنية الصناعية . الخماس الابيض . تبييض الحديد الزهر . الصناعة السورية	٩٠٠
باب الزراعة * اقطن المصري . النيل . التعليم الزراعي . الفاكهة في مصر . زراعة الصبر السقطري . الزبوت العطرية . مرض اقطن	٩٠٢
باب النقرىظ والانتقاد * الاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم . رواية المروءة والوفاء . آثار النجوم الجبولوجية . التصوير الفوتوغرافي	٩٠٧
باب المسائل * الكوليرا والطيور . حموضة المعدة والكوليرا . الاصابة بالكوليرا مرتين . علاج الكوليرا بالتطعيم . اتساع الحديقة . الاسفلت في البهاء . امساك الاطفال . هواء شارع الاهرام . تولد التوأمن . حرافة البصل . ميل المطر . الفتن في المدارس . المشد وتصغير القدم . قدم الانسان . قدم بركان اتنا . السفر نحو القطب الشمالي . سبب ملوحة البحر . تولد الحيوانات . الشبهات والسكر . عمل الطحال	٩١٣
باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٢ نبذة	٩١٨